



إشباع الحاجات النفسية



الفصل الأول

إشباع حاجة الطفل إلى الحبّ والحنان



❖ أهمية الحُبِّ والحنان في حياة الطفل ووجدانه:

تؤكد الدراسات أن الحُبَّ يلعب دوراً كبيراً في نشأة الشخصية، وفي تشكيل مفهوم الذات Self Concept

بحيث إن إبطاء الحاجة إلى الحُبِّ يؤدي إلى تدهور الحالة النفسية والجسمية للفرد. والحُبُّ الذي نعنيه.. هو قبول الطفل، ورضا المحيطين عنه، وتجاوبهم معه، والاعتزاز بكيونته وشخصيته، والنظر إليه بنوعٍ من السماحة التي تغفر له أخطائه، وتُركي حسناته، بحيث يشعر الطفل بأنه محبوب أي مرغوب فيه، وأن له ظهراً يحميه ويسانده ويؤازره.

ولقد كشف علماء النفس عن أن الطفل ليس محتاجاً فقط لأن يُحب، بل هو محتاج أيضاً أن يُحب، ذلك الحُبُّ الذي يمثل عاطفة متبادلة بينه وبين أسرته وكل المقربين إليه، سواء في محيط العائلة أو المدرسة أو النادي.. الخ.

وقد ثبت أن إحساس الطفل بأنه غير محبوب أو غير مرغوب فيه يُحطم روحه المعنوية، ويجعله ينطوي على نفسه، فيزداد إحباطه وقنوطه، وبالتالي تسوء صحته النفسية، وهو الأمر الذي ننهي عنه ونُحذّر منه علي طول الخط.

والحاجة إلى الحُبِّ هي أهم الحاجات النفسية والوجدانية التي يسعى الطفل إلى إشباعها، فهو يحتاج إلى الشعور بأنه مُحب ومحبوب، والحب المتبادل بينه وبين أفراد أسرته، حاجة ضرورية لصحته النفسية؛ لأنه يُريد أن يشعر بأنه مرغوب فيه، وبالتالي ينتمي إلى جماعة أو بيئة تُحبه وتمنحه العطف والحنان.

والحُبُّ للطفل هو الغذاء النفسي الذي تنمو عليه شخصيته وتتفتح، وكما يتغذي جسمه علي الطعام، فإن نفسه تتغذي علي الحُبِّ والقبول.

وتتألف الحاجة إلى الحُبِّ والحنان من عنصرين يصعب - في كثيرٍ من الأحيان - الفصل بينهما:

❖ **العنصر الأول:** هو الرّغبة في تلقي الود والحب من الآخرين، والتي تعني الحاجة إلى الالتصاق المادي مع الشخص "موضوع الحب" (أباً أو أمّاً)، التصاقاً يتخذ صورة الاحتضان والتقبيل.

❖ **العنصر الثاني:** هو الرّغبة في الحصول على المساعدة، والحماية، والمعونة، والتأييد من الشخص الذي يُحبه الطفل، أو من الجماعة التي يُحباها.

إن قوة الخُلُق، وسوية الشخصية، والشجاعة، والأمانة، والصدق، والاتزان، والثقة بالنفس والاعتداد بها، والرّغبة في أن يكون الفرد إنساناً خيراً، إنما تبعث جميعها من شعور الطفل بدفء الجو الذي يعيش فيه، ومن إدراكه بأنه موضع الحب والثقة والاحترام، وبأن أعماله وإنجازاته تلقي من المساندة والتشجيع، ثم الثناء والتقدير، ما يستحقه. فإذا أردنا أن ينشأ أبنائنا علي الثقة والاطمئنان، وأن يتجهوا إلي العمل البناء في تعاون وتضحية وإيثار، وأن يجدوا السعادة في البذل والعطاء، فلنمنحهم الحب أولاً وأخيراً. والحب الذي ننشده لأبنائنا هو حب الإيثار لا الأثرة، حب العطاء لا الأخذ.

والحُبُّ حاجة أساسية يتطلبها الإنسان في كل مراحل عُمره، إلا أن إشباعها في مرحلة الطفولة يُعد أمراً حيويّاً وضرورياً؛ لأن إشباعها يُسهم في تشكيل شخصية الإنسان، ويُسهم

في نموها السليم، حيث يترتب علي إشباعها مدي إحساس الفرد بالأمن والطمأنينة، وهو ما تكون عليه الشخصية من مستوي الثقة بالنفس.

والطفل يكتسب العادات الانفعالية السليمة، وبالتالي يأتي بالسلوك الاجتماعي السوي، إذا تم استمرار إشباع حاجته إلي الحب التي يشعر من خلالها أنه موضع حب والديه وإخوته وأخواته وكل مَنْ يتعاملون معه؛ فالطفل إذا شعر أنه مرغوب فيه، وأنه موضع حبه فأنه يستطيع أن يُحقق من هذا الإشباع الكثير من أسباب الاتزان الانفعالي حيال مواقف الحياة المختلفة. بالإضافة إلي أن إشباع الحاجة إلي الحب تُبعد الطفل عن الإحساس بالكرهية نحو غيره من الناس، وذلك يمكن أن يُحقق له الهدوء النفسي، وتقبل ذاته، فينمو نمواً وترتبط بحاجة الطفل إلي الحب والحنان، حاجته إلي الشعور بالأمان العاطفي، ويتمثل في: تقليل مشاعر الطفل من الشعور بالذنب، والخوف، والقلق، وتقوية مشاعره الإيجابية نحو الإنجاز، وحاجته إلي أسرة تُصغي إليه، وتستجيب له، وتُساعده علي فهم ذاته وفهم العالم الذي يعيش فيه.

❶ بدايات ظهور حاجة الطفل إلي الحُبّ والحنان:

هناك أدلة عديدة توحى بأن الأيام الأولى من مرحلة الطفولة قد ترتفع فيها نسبة وفيات الأطفال الذين لا يحصلون علي حُبّ الأم، مقارنةً بالأطفال الذين يحصلون علي هذا الحُبّ. ومن هنا فإن هذه الحاجة سواء كانت موروثية أو مكتسبة تُعدّ من أهم الحاجات الإنسانية علي الإطلاق.

ليس من الصعب إذاً أن نُدرك أن الرضيع الذي لم يتجاوز عُمره يوماً واحداً يكف عن البكاء لمجرد حمله واحتضانه، وليس لتناول الطعام من ثدي أمه فحسب. وبدءاً من الأسبوع الثالث أو الرابع تبدو مظاهر الابتهاج علي الطفل حينما تُحادثه الأم أو تلاعبه، فهو يفتح فمه ويُغلقه، ويميل رأسه أماماً وخلفاً متاملاً وجهها بامعان. ثم بعد ذلك بعدة أسابيع يبدأ الطفل في التعبير عن ابتهاجه بالابتسام، وتزداد حاجته إلي أن يُحمل ويُحتضن. وحين يتعلّم الجلوس واستعمال يديه في اللهو تقل مؤقتاً حاجته إلي رؤية أمه في كل الأوقات. وعلي هذا يُصبح أكثر تحملاً لمشهد رحيلها دون صراخ أو عويل. أمّا عند الشهر التاسع من عُمره، فأنه يُثير صخباً وصياحاً إذا رأي أمه تحمل طفلاً آخر، حتى وإن كان هذا الطفل هو أخوه الأكبر عُمرًا.

وبعد العام الأول يحتاج الطفل لقدر أكبر من الحُبّ والحنان فيزداد اعتماده علي أهله ويُبلّح في طلب وجودهم معه باستمرار. وقد يُعاني الطفل أحياناً من بعض الأحلام المزعجة، أو يُداهمه شعور غامض بالخوف من أشياء عادية؛ لأنه لم يألّفها من قبل، مثل: السيارات أو الحيوانات الأليفة كالقطط، فيتوقع أن تحميه أسرته من كل هذه المخاوف. كذلك يزداد احتياجه للحُبّ عندما ينتابه المرض أو الألم، إنه يريد أن يشعر بكونه مرغوباً، وأن له كياناً مميزاً، ومكانة اجتماعية داخل الأسرة كأي شخص آخر فيها. كما يحتاج إلي الحُبّ والحنان حين يكون متوتراً، أو يُعاني مازقاً لا يُحسن التصرف فيه، ويزداد هذا الاحتياج للحُبّ كلما أبقن أنه غير محبوب أو غير مرغوب فيه.

هذا الإحساس بالحُبّ يبدأ مع والديين ثم يتدرج ليضم أشخاصاً آخرين، يُعتبر أساساً لكل العلاقات المستقبلية، وعلي أساسه أيضاً يتوقف - إلي حد كبير - مدي نمو شخصيته، وقدرته

علي الاستجابة لعاطفة الحُب، وبمرور الزمن يصبح الطفل أو الطفلة، أباً أو أمّاً من النوع الذي يمنح الحُب ويرعاه.

ومما لا شك فيه أن الحاجة إلي الحُب تتسم بعلاقة خاصّة بين الأم والطفل، فهي التي تمنحه الدفء والحنان، إذ تُقبله وتُداعبه وتحتضنه وتبسم له، وتمنحه أيضاً البهجة بالغباء له، وتفرض السكون علي جو المنزل حتى يعفو أو ينام، وتُراعي الرقة في حمله أو الإمساك به، ولأجل ذلك كلّه تصبح الأم بالنسبة له كياناً حيوياً وضرورياً لا يمكن الاستغناء عنه، ومن ثمّ يثق الطفل بها ثقةً مُطلقةً، وبالتالي يثق بالبيئة من حوله.

والأم التي تبذل جهداً كبيراً لإشباع حاجة طفلها الرضيع من الحُب والحنان، يتعرّف عليها طفلها من مُجرّد النظر إلي عينيها، فيبتسم لها، وكأنّه يُقدّم إليها شكره وامتنانه عن كل ما تبذله من أجله. إنّه بداية الحُب المُتبادل بينهما، إذ كلّما حدث هذا تطورت أو توطدت العلاقة بين الطفل وأمه. وعلي هذا. فلا غرو أن الرضيع الذي لم يتجاوز عُمره عدة أشهر يستطيع أن يُميّز أمه ويتعرّف عليها من بين عشرات الأمهات الأخريات اللاتي قد يختلط بهن الطفل.

❶ كيف نكتشف حاجة الطفل إلي الحُب والحنان؟

كثيراً ما نكتشف حاجة الطفل إلي الحُب والحنان من خلال ما يقوله صراحةً: "أنا أرغب في أن تُحبنى أمي"، أو ما يُعبّر عنه بقوله أيضاً: "أشعر أن أبي لم يعد يُحبنى". كما تظهر حاجة الطفل إلي المزيد من الاهتمام والرعاية والعناية، حينما يقول مثلاً: "أنا أفتقد أبي بشدّة.. فهو لا يجلس معي يُحادثني إلا نادراً". أو عندما يقول: "أتمني لو شاركتني أمي في لعبي".

ومن جهةٍ أُخري، فإن الطفل الذي يعوزه الحُب والحنان قد يُعبّر عن رغبته في إظهار حبه لوالديه، عندما يقول: "أود أن يكون لي صديق يُحبنى كثيراً.. كما كان يُحبنى أبي"، أو حين يقول: "ليتني أستطيع أن أفعل شيئاً لأبيّن لوالديّ كم أحبهما كثيراً".

كما أن الطفل المُحتاج للحُب والحنان يبدو - في العادة - متمسكاً بمظاهر الحنان، كأن يطلب من أمه أن تسمح له بإمساك يدها، أو نراه يبكي بكاءً شديداً عند انصراف أبيه. وهذا الطفل قد يُبدي - بصفةٍ عامة - رغبة عارمة في الالتصاق بالناس. علي أن بعض هؤلاء الأطفال قد تكون لهم ردود أفعال غير سوية، فقد يُفكرون في الهروب من المنزل، أو قد يجنحون إلي السرقة أو الكذب، أو قد يميلون إلي الكسل أو التلكؤ، وفي بعض الأحيان قد يُظهرون عطفاً شديداً تجاه الطيور أو الحيوانات أو الدُمي.

والطفل الذي يفتقد الحُب والحنان نجده كثيراً ما يتشبّث بأمه أو أبيه أو براسدٍ مألوفٍ بالنسبة له كالعم أو الخال. وقد يكون طفلاً شديد الحساسية، ومن السهل إيذاء مشاعره، خاصّة إذا كان النقد أو اللوم صادراً ممّن يُحبههم. أو قد يكون متبلد المشاعر، أو قلق، أو سهل الاستثارة كثير البكاء، أو قد يلجأ إلي مصّ أصابعه أو قضم أظافره، أو قد يُفرط في تناول الطعام. وهو طفلٌ يمرض كثيراً، وقد يكون قارناً نهماً وخاصّةً للقصص الغارقة في الرومانسية أو للروايات الغرامية.

⑥ ماذا نجني من وراء إغفال حاجة الطفل إلي الحب والحنان؟

يُخطئ بعض الآباء والأمهات إذ يربون أبناءهم تربية مبنية فقط علي العقل والمنطق؛ فهذه التربية بلا شك تكون مؤسسة بالدرجة الأولى علي مجموعة من القواعد الجافة الخالية من الحب والتواد والتعاطف، علي حين يُريد الطفل أن يشعر شعوراً تاماً بحب والديه له. ولذلك فإن حالات كثيرة من سوء التوافق كالسرقة والهروب والمشاكسة والعدوان يكون سببها الأساسي جفاف وفتور المعاملة الوالدية، وافتقاد الأبناء عاطفة الحب والحنان.

ويُخطئ الآباء والأمهات أيضاً إذا أهملوا اهتمامات أطفالهم أو أعمالهم، وعندما لا يخصصون أوقاتاً مُعيّنة للحديث معهم أو مناقشة أمورهم، أو إذا قالوا لطفهم وهم يؤنبونه: "لا تأت إلينا بمتاعبك"، أو: "اعتمد علي نفسك وحل مشاكلك بمفردك". إنهم بذلك يضاعفون من شدة حاجته إلي الحب والحنان.

وجدير بالذكر أن كثيراً من الآباء والأمهات لا يُعاملون أبناءهم مُعاملة تنمّ علي الحب والحنان، وشاهد علي ذلك أنهم يصدونه إذا ما تحدث معهم أو وجه إليهم أي استفسار. ونأسف إذ نقول إن المبدأ التربوي الشائع في نطاق مُعظم الأسر هو مبدأ عدم تقديم الحب للأطفال، مُفضلين أن يُعاملوا أبناءهم من منطلق الحزم فقط، بينما يغفلون جانب الحب وإبداء التعاطف مع الصغار. فإذا أردنا للتربية أن تكون متكاملة بحيث تنسم بالسوية، فلا بد من إبداء الحب لهم من جهة، وإبداء الحزم في مُعاملتهم من جهةٍ أُخرى.

عموماً، إن الطفل الذي لا تُشبع حاجته إلي الحب والحنان يُعاني من "الجوع العاطفي"، ويشعر أنه غير مرغوب فيه؛ فيصبح سيئ التوافق، مضطرباً نفسياً؛ ممّا يؤثر علي صحته النفسية بالسلب، علي العكس من الأسرة التي تخلق لطفلها الشعور بالحب وتتعهد به بالنماء، وهو الشعور الذي يؤدي إلي انتظام حياة الطفل النفسية، واستقرار مشاعره الاجتماعية، لأنه بدون هذا الحب أو الأمن النفسي يفشل الطفل في التقبّل والازدهار من الناحية الجسمية، وتنشأ لديه اتجاهات شخصية تعوق نموه العقلي والنفسي والاجتماعي السليم؛ لذلك فإن الطفل الذي يتمتع بالحب والحنان ينمو شخصاً مُحباً لمُعلميه ولرؤسائه، بل ومُحباً للناس جميعاً.

⑦ هل المال وحده يستطيع أن يُعوّض الطفل عما يفتقده من الحب والحنان؟

كثيراً ما يقول الآباء أو الأمهات: "طفلتنا يحصل علي الحب. فنحن نوفر له كل ما يُريده، وكل ما يمكن أن يشتريه المال"!! ولكننا نقول إن الحب الذي نبعيه لأطفالنا أكثر وأعق من ذلك بكثير؛ لأن سعادة الطفل لا تتم بإعطائه ملء الأرض ذهباً، في هذا يقول "بنجامين فرانكلين": "إن المال لم يجعل إنساناً سعيداً. فليس في طبيعة المال شيء يُنتج السعادة". هناك في الواقع آلاف من بيوت الفقراء، التي لا تحتوي من المال إلا علي غير القليل الذي لا يكفي لشراء شيء ذي قيمة للطفل، ولكننا نجدها بيوتاً عامرة بالحب، عامرة بالود، فبإضافة بالحنان ليس - إذاً - هو أن نمنح الطفل كل ما يمكن للمال أن يشتريه، وواقع الأمر أن جزءاً مهماً من تربية الطفل لا بد من أن يوجه إلي تعليم الطفل، أنه لا يستطيع - حتماً - أن يحصل علي كل ما يُريده، وبالتالي لا بد أن يتعوّد كلمة: "لا".

إن إشباع حاجة الطفل إلي الحب لا تعني فقط الاهتمام بإحضار المتطلبات المادية التي تتمثل في المأكل والمشرب والملبس واللعب والأدوات، إنما تعني الاهتمام بالجانب العاطفي الذي يتمثل في الحنان والعطف والمودة، ومراعاة المشاعر، وإدراك المستوي العقلي للطفل عند محادثته، والأسلوب المُستخدم في التعبير عن هذه المشاعر، بما يُحقق الهدف الجوهرى من إشباع حاجة الحب بالنسبة للطفل، وهو الإحساس بالأمن النفسي والطمأنينة، وما يترتب عليه من نمو الثقة بالنفس لديه.

كما يمكن للوالدين أن يقوموا بإشباع حاجة الطفل للحب بأساليب غير مادية كالإبتسامة الرقيقة، وما يصدر عن وجهيهما من تعبيرات تُعلن السرور لرؤيته، فضلاً عن التسامح فيما يصدر عن الطفل من سلوك يتنافى مع القيم التي ما زال الطفل غير مُدرك لها، والالتزام بالصبر في مُعاملته، وتقبُّله كما هو، والألّا يُتوقع منه أن يصدر نمطاً سلوكياً أكثر من قدراته. وفي الوقت نفسه لا بد من الاهتمام بتعليمه النظام والدقة فيما يصدر عنه من سلوك، بأسلوب يُدرك من خلاله الطفل أنه موضع حُب وتقدير وإعجاب، ممّا يجعله يشعر بأنّه مرغوب فيه، وهذا من شأنه أن يُشعره بمزيد من الإحساس بالأمن النفسي، ويرفع من مستوي ثقته بنفسه.

عموماً فإن الطفل يحتاج إلي شئ لا يمكن أن يوفره له المال، هو حُب أمه وعطفها عليه، وفهمها إياه، قال "جوته" الفيلسوف الألماني، يصف شعور الطفل الصغير تجاه أمه: "سئل ولدٌ صغير: أين بيتك؟ فنظر الولد الصغير إلي أمه بعينين مملوءتين بالحب، وقال: بيتي حيث تكون أمي". واخيراً.. يقول الفيلسوف "جان جاك روسو": "لو كان العالم في كفة، وأمي في كفة أخرى.. لاخترت أمي".

⑥ كيف يكون الحب مُدمراً لصحة الطفل النفسية؟

1- إذا كان حُباً غير مُثمر، أو حُباً أنانياً:

ينبغي أن نوضح كيفية إشباع حاجة الطفل إلي الحب، حتى يتحقق الغرض الحقيقي من إشباعها، فقد يفهم بعض الآباء والأمهات أن الحب بالنسبة للطفل يعني تلبية كافة رغباته، وإحضار كل ما يُعتقد أنه لازم وضروري له. ونحن نرى عكس ذلك؛ لأن التربية السوية التي تُحقق نمواً سليماً في الشخصية، ويتطلب تحقيقها من الآباء والأمهات، تعتمد علي أن يُعلموا أطفالهم أن كل ما يطلبونه ليس من الممكن إحضاره في التُو واللحظة، إنما هناك أشياء يمكن إحضارها، وهناك أشياء أخرى يجب إرجاؤها حتى يحين الوقت الذي تتاح فيه إمكانية إحضار هذه الأشياء.

وهناك نقطة أخرى ينبغي الإشارة إليها في هذا الصدد، وهي أن كثيراً من الآباء والأمهات ينظرون إلي إشباع حاجة الطفل إلي الحب والحنان من منظار أناني. فهم مثلاً يخافون عليه من الأذى أو الضرر، لذلك يشملونه بعناية مُسرفة، فيداومون مراقبته في جزع، ويحصون عليه خطواته، لدرجة أنهم يمنعونه عن القيام بأي نشاط مستقل خشية أن يتعرض لأي ضرر أو أذى. وهم بهذه التصرفات إنما ينقلون هلعهم المُغالي فيه إلي أطفالهم، فيبتعد بالتالي عن الشعور بالطمأنينة، ويبدأ في النظر إلي العالم من حوله وكأنه مستودع أخطار، والطفل إذا ملأ الخوف نفسه فإنه يفقد تطلعاته، ويقوّض قدراته، فيعجز بالتالي عن اكتساب الخبرة التي تراها ضرورية لمواجهة الحياة بنجاح وسوية.

❶ إذا كان الحُبُّ ينطوي علي نوع من التدليل:

الإغراق في حُبِّ طفلٍ بعينه يُحوِّل الحُبَّ إلي نوع من التدليل، بحيث يستجيب الكبار لرغبات الطفل المُلِحَّة وغير المُلِحَّة، وفي هذا إفساد للطفل. فالحياة لها ظروفها ووقائعها، فهي تُعطي أحياناً، وتضن أحياناً أخرى، وكثيراً من الأمور لا يتحقق إلا إذا بذل الشخص فيها جهداً وعناءً ومثابرةً. ولذلك فإن الحياة ليست طيبة أو وفق هوانا. فالتدليل الذي يحدث باسم الحُبِّ والحنان، يخلق صورة كاذبة عن حقيقة الحياة؛ ولذلك بقدر ما يستجيب الأبوان بكلمة "نعم"، فهناك مواقف تقتضي قول "لا" حتى يشب الطفل موضوعياً وواقعياً. وسوف نعرض علي الصفحات التالية نماذج تراها غير سوية من فرط الحماية والتدليل، لتتضح الصورة كاملة:

♦ تدليل الطفل الوحيد:

الطفل الوحيد يكون مركز الاهتمام وبؤرة التدليل والرعاية، وينال رعاية كبيرة ومُرَكَّزة، وتتحصر فيه آمال الوالدين، ويتوقعان من انجازات رائعة؛ لأنه كلُّ الأبناء، وبالتالي يقع الوالدان في خطأ الرعاية والحماية المفرطة له، ويُدلِّلانه تدليلاً مبالغاً فيه، فأبواه يشعران أنَّهما لن ينجبا غيره، فيخافان عليه من كل شيء؛ وبالتالي يستجيبان لكل رغباته طائعين، لا يحاولان إطلافاً رفض طلباته، بل ويُسرعان إلي تهدئة خاطره واسترضائه، ممَّا يؤثِّر تأثيراً سيئاً في نمو شخصيته؛ فيصير الطفل مُعتمداً عليهما في كل كبيرة وصغيرة، وبالتالي لا يستطيع أن يتحمَّل المسؤوليات المناسبة لسنِّه.

وممَّا يزيد الأمر سوءاً، هو منع الطفل من اللُّعب مع رفاق سنِّه، خوفاً عليه من تعرُّضه للحوادث والإصابات مثلاً، فيحاولان جاهدين استبقائه في البيت، حتى يكون في مأمن من الأخطار، والواقع أن هذا المسلك يجعله يجد صعوبات جمة في تفاعله وتوافقه الاجتماعي مع رفاق سنِّه، ولذلك فليدرك أبواه أنه يجب أن يُعوِّض الطفل الوحيد عن إخوته بعددٍ مناسب من الأصدقاء والرفاق ممَّن في سنِّه؛ حتى ينمو اجتماعياً النمو المناسب والمعقول من خلال تفاعله معهم. وممَّا يُفيد الطفل هنا إلحاقه ميكراً بدار حضانة جيدة ومناسبة، وكذلك شغل وقت فراغه بالهوايات الممتعة، مثل: تربية طيور الزينة، مع مُعاملته مُعاملة طبيعية جداً.

♦ تدليل الطفل الأول:

الطفل الأول يُمثل دائماً البداية الجديدة لأية أسرة شابة، فهو أول خبراتها في مجال الأبوة والأمومة. ولا شك أن النظرة الأولى للطفل يكون ملؤها الفرح والسعادة لمقدمه بغضِّ النظر عمَّا إذا كانت صورته المُتخلِّلة في ذهنهما لم تُطابق الواقع.

ومع نمو الطفل الأول، فإنَّه يُصبح محط أنظار والديه وبؤرة اهتمامهما ومطامحهما؛ يدفعانه إلي تحقيقها. وقد ينال الطفل الأول كثيراً من الحماية الزائدة والتدليل المُفرط، وهذا هو الخطأ الذي سبق أن نبهنا إليه. من جهةٍ أخرى يشعر الطفل الأول أنه مركز اهتمام الأسرة، وقد يشعر حين يأتي الطفل الثاني - إذا لم يكن أعدُّ لذلك إعداد خاص - أن كارثة قد حلَّت به، فتتمو لديه "عقدة قابيل".

♦ تدليل الطفل الأكبر:

الطفل الأكبر الموجود مع إخوته وأخواته الأصغر منه، هو أيضاً الطفل الأول بالنسبة لوالديه، وهو ينال من عنايتهم وحُبهما ورعايتهما أكثر من إخوته، إذ يلقي حماية زائدة واهتماماً بالغاً، وهو أقرب الأطفال إلي والديه من ناحية السن. والطفل الأكبر يتوقّع منه أن يكون رائداً لإخوته وأخواته الأصغر منه، وهو يشعر بالزّهو والفخر بينهم لأنّه كبيرهم ورائدهم، وقد يتسلّط عليهم، إذ وجد الضوء الأخضر من والديه.

والطفل الأكبر يتمتّع ببعض المزايا، فلا يوجد مَنْ هو أكبر منه من الإخوة يُمارس معه السلطة والتسلّط، وعادةً يُشير الوالدان إليه كنموذج لأطفالهما، أمام الأهل والأصدقاء، وهنا يستلزم من الوالدين مُراعاة شعور إخوته وأخواته الصّغار.

وقد يُفضله الوالدان بدرجةٍ زائدةٍ ويدلّلونه، ويرفعان مركزه وقدره باعتباره الطفل الأكبر، ومن المفروض ألاّ يحصل الطفل علي آية مزايا لهذا السبب علي حساب إخوته وأخواته.

♦ تدليل الطفل الأصغر:

الطفل الأصغر يُمثّل مكاناً خاصاً في قلب والده أو والدته لأنّه الأصغر والأضعف، ومن مظاهر التدليل والحماية الزائدة هو تلبية رغباته بشكلٍ مُبالغ فيه علي أنه "الصغير"، فيحصل علي امتيازات ومميزات بهذه الحجة. وقد يُخطئ الأُطفال، فينال الجميع عقاباً صارماً، ولكن هذا العقاب لا يطبّق بنفس الحزم مع الطفل الأصغر، وحجة الوالدين في ذلك أنه لا يدري ولا يعي، فقد قلّد إخوته وأخواته الأكبر منه!!

وقد لا تُستري ثياب جديدةٍ للكبار في الأعياد، ولكن يُستري للطفل الأصغر لأنّه "الأصغر والأضعف!!" والمطلوب من الوالدين في هذا الصدد التوازن التام في رعايتهما لأطفالهما، الكبار منهم والصّغار علي حدٍ سواء.

3- إذا كان حُباً ينطوي علي نوع من المحاباة أو التفرقة في المعاملة:

الحياة بدون حُب سقيمة ومقفرة، والأسرة المتماسكة ينشأ الحُب بين كل أفرادها بطرق تلقائية، أمّا الأسرة المنقسمة الغير مترابطة فغالباً ما يكون الحُب فيها للبعض دون البعض الآخر.

والمحبة - لسوء الحظ - واسعة الانتشار، وإن كان بعض الآباء والأمهات ينكرونها بشدةٍ لأنهم يُقدّمون عليها دون أن يشعروا، غير أن الآخرين - ومن بينهم الطفل بالطبع - يرون مواقف المحبة أو التفرقة بين الأبناء واضحة وجلية.

وتنشأ المحبة لأسبابٍ متعدّدة، فإذا كانت الأم قد ولدت عدداً من الإناث ثم ولدت طفلاً ذكراً بعد ذلك، فالأرجح أن يلقي هذا الطفل معاملةً خاصّة. كذلك إذا وُلد طفل بعد انقضاء سنوات طويلة علي ميلاد الطفل السابق، وخاصّة إذا كان الوالدان ينتظران مجيئه بلهفة، فمن المحتمل أن يُعامل الوليد الجديد معاملةً تنطوي علي قدر كبير من المحاباة.

وقد يُحابي الأبوان طفلاً تعرّض لمرضٍ مُعيّن، أو طفلاً وُلد قبل استكمال مدة حملته. كذلك، فإن الطفل الذي منحتّه الطبيعة تقاطيع أجمل، أو نكاه أكبر من سائر إخوته وأخواته فقد يُعامل معاملةً خاصّة.

كما أن الطفل الذي يُبدي من الحُبِّ لأحد الأبوين أكثر ممَّا يُبديه للآخر (ولو لبعض الوقت) فإنَّه يُعامل مُعاملة تختلف عن سائر إخوته أو أخواته. وقد تتطوَّر المشكلة عندما تري الأم أن الأب يُحابي أحد الأطفال، فتضم الطفل الآخر إلي جناحها وتُحابيه بدورها. كذلك فقد يكون للجدِّين أو لبعض الأهل أو الأصدقاء دوراً في ظهور مشكلة المُحابة. وممَّا لا شك فيه أن المُحابة تؤثر علي الطفل المُفضَّل تأثيراً سلبياً، إذ يصبح طفلاً مُدلاً ميالاً إلي الخروج علي النظام، وإصدار الأوامر إلي إخوته وأخواته؛ وبالتالي فإنَّه يكتسب كراهيتهم له.

كما تؤثر المُحابة تأثيراً نفسياً ضاراً علي الطفل الغير مُفضَّل، فهو يشعر بأنَّه غير مرغوب؛ وبالتالي فإنَّه يميل إلي الحقد والكراهية تجاه إخوته أو أخواته الذين يُعاملون بنوع من المُحابة. كما أنَّه يُظهر ردود أفعال قوامها التوتُّر، والقلق، والاكتئاب، كما يأتي بأساليب سلوكية مَرضية كالقبول اللإرادي، وقد يتخذ موقف المُعارضة من أبويه، ونراه يتمني أن يبتعد عن البيت؛ لأنَّه يُريد أن يبحث عن الحُبِّ والحنان في بيوت أو بيئات أُخري، ومع أناس مُغايرين، وهو طفل لا يفتح قلبه لوالديه، ومن ثمَّ يُصبح فيما بعد غريباً عنهما. وهنا تنشأ حلقة مفرغة: إذ كلُّما نقص ما يُبديه الطفل نحو والديه من حُبِّ كلِّما نقص حُبِّ والديه له، علي حين أن الطفل المُفضَّل يُبدي لأبويه حُباً شديداً؛ وبالتالي ينال مزيداً من الحُبِّ والحنان.

ونحن لا ننكر أن تجنُّب المُحابة علي طول الخط أمرٌ صعب؛ لأنَّه من المتعذر توفير المساواة المُطلقة بين الأطفال في أيَّة أسرة، بل إنَّها - أحياناً - تكون غير مطلوبة، فليس من المفروض، عندما نُقيم حفل عيد ميلاد مثلاً لأحد الأبناء، أن نُقدِّم الهدايا لجميع الأبناء الآخرين؛ لأنَّ عليهم أن يدركوا أن دورهم سيأتي، كما أن حُبِّ والديهم ثابت لا يتزعزع، ولكن ينبغي - بقدر الإمكان - أن نبتعد عن كل الأسباب التي تؤدي إلي المُحابة والفرقة في المُعاملة بين الأبناء. وعلي الأبوين أن يُراجعا نفسيهما بطرح هذه الأسئلة ومثيلاتها من حين لآخر، ليكونا علي يقظةٍ ووعي تام:

- * هل نحن نُعاقب أحد الأطفال أكثر ممَّا نُعاقب الآخر؟
- * هل نتسامح مع طفلنا الأصغر، ولا نتسامح بالقدر نفسه مع طفلنا الأكبر؟
- * هل نحن علي استعداد للعب مع الأطفال الصغار أكثر من الأطفال الكبار؟
- * هل نحن نُداعب أحدهم أكثر ممَّا نداعب الباقين؟

٢٠ كيف نُحبُّ الطفل؟

1- أن نُحبه حُباً واعياً مستتيراً:

الحُبُّ الواعي المستتير يقتضي ممَّا أن نبدأ أولاً بإحاطة الطفل بجو من دفء المشاعر والحنان والإقبال عليه، فإن ذلك خليق بأن يملأه ثقةً بناً واطمئناناً إلينا، وبالتالي ثقتَه بنفسه، واطمئنانه إلي العالم من حوله، والطفل في أشد الاحتياج إلي هذه الثقة كي يخطو الخطوة التالية في مسيرته نحو النضج بنجاح وسوية.

أمَّا الخطوة التالية، فهي العمل علي خروج الطفل من أنانيته تدريجياً، فنحن لا نستطيع أن نتوقَّع زوال الأنانية إلا بعد انتهاء السنة الثالثة من عُمره، كما لا يمكن إلزام الطفل بترك الأنانية، فهو يتركها بالتدريج ويتعلَّم الإيثار بالتقليد والمحاكاة والتوجيه السليم، وليس لنا أن

نتوقّع أن طفل الثانية أو الثالثة من العُمُر يُشرك طفلاً آخر في لعبه، ويكون من الخطأ أن نحاول دفعه إلي ذلك، فهو لا يتعلّم ترك الأنانية بالقوّة.

وينبغي علي الأم أن تُساعد طفلها علي مُشاركة الآخرين في اللّعب بطريقةٍ خاصّة، فإذا جلست بالقرب منه وهو يلعب، عليها أن تُظهر اهتمامها بلعبته وتلمسها بيديها، وهو قابض عليها فإذا أعطاهما له، عليها أن تأخذها منه وتُشكره ثم تُعيدها إليه في الحال، حتى لا يشعر بأنّه فقد اللّعبة. وبذلك يتعلّم المُشاركة.

وعلي الأم أن تتوّع الألعاب التي تُشارك طفلها فيها، والتي تجعله يُعطي ويأخذ، وعلي سبيل المثال يمكن للأم أن تُعطي طفلها قطعتين من الحلوى، وتطلب منه أن يأخذ لنفسه واحدة ويُعطي الأخرى لأخيه، وعليها أن تُكرّر الجملة: "هذه لك أنت، والأخرى لأخيك". حتى يُدرك الطفل ما تعنيه الأم، وعندئذ يُنفذ طلبها، وعلي الأم أن تُضمّ طفلها إلي صدرها وتُشكره، بحيث يشعر بتقديرها لعطائه. وعلي الأم ألا تُقلق عندما يتشبّث الطفل بحاجياته، ويرفض العطاء ومُشاركة الآخرين في اللّعب بحاجياته أو لعبه؛ لأن هذه السمة طبيعية في جميع الأطفال حتى سنّ الثانية أو الثالثة.

ومن الأفضل ألا نضغط عليه، إذا أن تشبّثه بحاجياته هو نوعٌ من سلوكٍ مرحلي، يتطلّب مرونة الأم، وفهماً لطبيعة الأطفال، فهو يتخلّص من أنانيته بالممارسات التي تُعطيهِ فرصة ممارسة العطاء وعدم الأنانية.

وينبغي علي الوالدين أن يبذلا جهداً خاصاً لضرب المثل والقُدوة في التعاطف والإيثار والكرم، ولتشجيع الطفل علي أن يتصرّف تصرّفاتٍ مماثلة، وينبغي الأ نعلم إلي تأنيب الطفل إذا لم يتصرّف بالأسلوب نفسه، ولا يفوتنا أن ننوّه أنّه إذا عرّض الطفل بعض ما يملكه من حلوي علي أحد أفراد الأسرة الكبار، ليُشاركه فيها فلا يجب أن يعتذر، بل يُحسن أن نتقبله منه بترحيب واهتمام وتشجيع، كي يتعلّم العطاء. وكذلك يجب أن تكون لدي الطفل أشياءه الخاصّة، حتى نُعلّمه ما الفرق بين الملكية العامّة والملكية الخاصّة، وحتى يتعلّم كيفية المُحافظة علي ملكية الآخرين الخاصّة.

ونحن نُحذر أن نقوم نيابة عن الطفل بإنجاز بعض أعماله بحجّة الاقتصاد في الوقت أو الجهد؛ لأن ذلك سوف يحرمه من لذة الاكتشاف والتجريب واكتساب الخبرة، علي أنّه إذا أصاب نجاحاً في أعماله التي نراها صغيرة، ويراهها هو كبيرة، نال منّا الفرح والغبطة ولقي منّا الثناء والاستحسان، وإذا أصاب فشلاً لمس منّا الهدوء والتشجيع علي أن يُعيد المحاولة من جديد، فإذا به يزداد اطميناناً إلي العالم من حوله، ويشعر بالثقة في نفسه من غير خيلاء أو زهو، فينشأ قادراً علي مواجهة تحديات الحياة في فهمٍ وعزمٍ، بعيداً عن أن يغرّه النجاح أو يُقعده الفشل.

2- أن نحبّه حبّاً سويّاً:

الحبّ السوي يعني أن يتفهم الآباء والأمهات متطلّبات الطفل وحاجاته، وإشباعها بالقدر المناسب والمعقول، وأن يلقي منهم مشاعر الحبّ والعطف والاهتمام والرعاية؛ لأن ذلك يجلب له الإحساس بالأمن النفسي والطمأنينة التي تتيح للطفل إمكانيّة إشباع كافة الحاجات الأخرى.

ويمكن أن تُشبع دائماً حاجة الطفل للحُبِّ عن طريق إحساسه بأنّه موضع الاهتمام والرعاية والعطف، بشرط ألا يُبالغ في إبراز هذه المشاعر، حتى يمكن أن يتحقق العائد النفسي من إشباع حاجته إلي الحُبِّ والحنان.

ومن سمات الحُبِّ السوي أن يُقوِّم الطفل لذاته وبصرف النظر عن جنسه نكراً كان أم أنثى، أو حسب مظهره أو قدراته أو شخصيته، وهو حُبٌّ يعني الفهم والتسامح والصبر، بحيث لا تنتظر منه أكثر ممّا ينبغي، وأن نجعله علي ثقةٍ في كل وقت من أنّه مرغوب فيه ومحبوب.

والحُبُّ السوي يتضمّن كذلك الحزم ورد الفعل المتبصّر بدلاً من التائب الجارح، كما يعني تجنّب مصادر الاحتكاك، مثل الاستعجال المستمر وفقدان الصبر، ويعني تحاشي الاستهزاء بالطفل أو مُقارنته بالآخرين، إذا أخفق في أداء عملٍ ما، وتجنّب الحديث عن عيوبه أمام إخوته أو الأهل أو الأصدقاء.

ونوه بأن الصغار يحتاجون دائماً إلي الحُبِّ، وبخاصّة عندما يكونون في حالاتٍ لا تُعري بحُثهم؛ فالطفل البالغ عامين ونصف العام والذي يبكي ويصيح عند إبقائه من النوم، أو الطفل الذي يغضب ويُشاكس ويُبدي رغبة في أن يفعل عكس ما يُطلب منه، لا يحتاج إلي تائب أو عقابٍ - كما يتصوّر البعض - بقدر ما يحتاج إلي الحُبِّ والتفهم.

ويصعب أن يطمئن الطفل إلي حُبِّ والديه إذا كانا لا يكفان عن تَأنيبه وتوجيه اللوم إليه عند ارتكابه لأي خطأ، فمثل هذا الطفل يشعر غالباً بأن أبويه يقفان له بالمرصاد، وأن كل ما يفعله خطأ، ولذلك.. فإن هناك بيوتاً كثيرةً تمضي فيها الأيام حافلة بالعذاب، مُرهقة للأطفال والآباء علي حدٍ سواء.

ويجب أن نتذكّر دائماً أنّه ليس هناك طفل يُفسده الحُبِّ، وإنما الذي يُفسده حقاً هو نقص الحُبِّ. وأخيراً ينبغي للأُم أن تسأل نفسها - وكذلك الأب - من حينٍ لآخر:

* هل أحب ابني حقاً حتى عندما يكون في أسوأ حالاته؟

* هل أحرص علي مشاعره بعدم الحديث عن سوء سلوكه أمام الآخرين؟

* هل أقدم لطفلي ما يجعله يشعر بأنني لا أحبه في كلِّ الأوقات؟

* هل يزداد حُبِّي له وإن أبدي من الحُبِّ نحو أبيه أكثر ممّا يُبديه نحوي؟

هذه الأسئلة وغيرها نراها لازمة وضرورية لتصحيح الأوضاع، ووضعها في نصابها الصحيح، وذلك لمنح أطفالنا حُبّاً سوياً يؤهلهم إلي مستوي مناسب من الصحة النفسية.

3- أن نُحبه حُبّاً غير مشروط:

ليس من المستحسن أن تقول الأم: "أنا أحب مريم لأنها متفوقة في دراستها". وإنما الأفضل أن تقول: "أنا أحب مريم لأنها ابنتي". هذا هو الحُبِّ غير المشروط الذي لا يمكن الاستغناء عنه لنمو شخصية الطفل نمواً سليماً وسوياً، ولأنه الغذاء الضروري المهم لضمان صحته النفسية حتى في المراحل المتقدمة من العُمُر. إنّه الحُبِّ الذي يدعو إلي القول: "أحبك علي الرغم ممّا تفعله". فهو حُبٌّ يُساعد علي نمو الثقة بالنفس، ويخلق في الفرد إحساسه الطيب نحو ذاته، ويؤدي إلي الرغبة الصادقة في أن يحاول ويُغامر بدون خوف أو رهبة من نتيجة الفشل، وهو الحُبِّ الذي يُساعد علي نمو الأطفال وهم واعون ومدركون للحياة، إن نقص هذا الحُبِّ غير المشروط يكون السبب الرئيسي في انحراف شخصية الطفل.

٥٠ نصائح للآباء والأمهات:

يجب على الآباء والأمهات عدم الظن بأنه لا دخل لهم بالحياة العاطفية لأطفالهم، وألاً يخشوا إظهار الحُب والحنان نحوهم، فمن المهم أن يعرف الأطفال أن آباءهم وأمهاتهم يُحبونهم. كما يجب ألا يخشي الآباء والأمهات من أن يضعوا يداً حانية عليهم. ومثل هذا يتم بطرق مختلفة تبعاً لاختلاف السن؛ لأن ما يُعتبر مناسباً في سنٍّ مبكرة لا يُعتبر مناسباً في سنٍّ أخرى متقدمة، إن نبرات الصوت ومدى ما تتطوي عليه من هدوء وإخلاص، وما يظهره من لطفٍ وسماحة، كل هذا ضروري لتدعيم أو اصر الحُب بين الآباء والأبناء.

وسوف نقترح عدة وسائل يمكن عن طريقها التعبير عن مشاعر الحُب والحنان تجاه الأطفال.. علي الآباء والأمهات إتباعها، والنسج علي منوالها:

* احتضان الطفل في فراشه ليلاً، حتى إذا قد ارتكب بعض الأخطاء أثناء النهار، مع استمرار احتضانه حتى إذا كان قد وصل إلي سنٍّ لا تدعو إلي هذا النوع من التعبير العاطفي.

* يمكننا أن نقول لأطفالنا من حين لآخر: "أصبحت الآن رجلاً"، عندما يرغب الطفل في أن يتخلص من الشعور بأنه لا يزال طفلاً صغيراً.

* عندما يخطئ الطفل في تصرفٍ أو سلوكٍ ما، فالأفضل الإشارة إليه بذلك عن طريق الضغط علي الشفاه بدلاً من توجيه اللوم صراحةً أمام الآخرين.

* احترام شخصية الطفل في كل المواقف ومُحاولة أخذ رأيه في اختيار حاجياته وأشياءه الخاصة قدر الإمكان.

* إذا كنا نعرض علي ما يفعله الطفل من سلوكٍ، فيجب أن تكون هذه المعارضة مُنصبةً علي السلوك وليس علي شخصية الطفل، الأمر الذي يجعل الطفل يؤمن بأنه محبوب من الجميع بالرغم من عدم الرضا عن سلوكياته وتصرفاته الخاطئة. كما ينبغي أن يُدرك الآباء والأمهات أنه ليس هناك أي تعارض في تصحيح أخطاء الطفل مع إشعاره دائماً بحبنا له، بمعنى أنه يمكن أن ننهر الطفل وننقده لسوء سلوكه، ثم نُقدّم له كلمات الحُب، ونحن نقول له: "يهمنا أن نُصحح سلوكك لأننا نُحبك". أو نقول: "نُحبك حتى لو أدت تصرفاتك إلي إغضابنا". وأيضاً: "نُحبك حُباً مستقلاً عن سلوكك". وبذلك يُحاول الطفل أن يُعدّل من سلوكه، عن اقتناع وليس عن رهبة.

* ينبغي أن يُمتدح الطفل لشخصه، أكثر ممّا يُمتدح لما يأتي به من أفعال؛ فالإتجاه السائد الآن هو أن يُمتدح الطفل ويكافأ حين يبذل جهداً جيداً، ويحصل علي مستوي عالٍ من النجاح. وبهذا يُصح من السهل أن يشعر الطفل أن هذه النجاحات هي المصدر الوحيد لنيل المدح والمكافأة والقبول والحُب. ولذلك ينبغي أن نُعقد علي الطفل كثيراً من المديح والثناء والحُب دون الربط بالتحصيل الجيد أو النجاح.

* يجب ألا يُقلّل الآباء أو الأمهات من شأن الطفل، كما يجب ألا يُتيحوا لهم الظروف التي من خلالها قد يشعرون بالعجز أو الفشل، بل ينبغي أن يُشعروهم بقدرتهم علي التغلب علي تلك المشاعر؛ وبالتالي فلنبتعد عن لوم الأطفال أو تأنيبهم.

* لا بدّ أن نُؤكد أنه لمشاعر الوالدين تجاه طفلها - حال احتضانه وضمه إلي صدرهما، ولأسلوب مُداعبته، ومُخاطبته بالحُب العذب الذي يتوافق ومستوي إدراكه، والتعزيز لمختلف

أنماط السلوك السليمة التي يُصدرها الطفل - الأثر البالغ في مدي إشباع حاجة الطفل إلي الحُبِّ والحنان، وبالتالي إحساسه بالأمن النفسي والطمأنينة والثقة بالنفس. ولذا وجب التنبيه علي أنه ينبغي الابتعاد عن إبداع الطفل في دور الحضانة المختلفة في سنٍّ مُبكرة، أو تركه لإحدى المربيات لتقوم بتربيته طوال الوقت، مهما بلغت هذه المربية من الحُبِّ والحنان والاهتمام، لأننا نوكد أن إشباع حاجة الطفل إلي الحُبِّ وشعوره بالأمن النفسي لا يُشبعه شئ علي الإطلاق سوي العلاقة المباشرة بين الطفل ووالديه.

✽ شعور الطفل بتقدير الكبار من أفراد أسرته لَمَّا يقوم به من أعمالٍ يُنبئه خير ما لديه، ويبعث الحماس للقيام بخير ما يستطيع، فلقد قيل: "إن التحمُّس هو الشئ الذي يجعل الدنيا تتحرك". أمَّا إذا لقي الطفل الاستهانة والتحقير أو الإشاحة وعدم الاكتراث، فلن يبعث ذلك في نفسه إلاَّ الشعور بالعجز والمرارة؛ لأن قدرات الطفل تتغذي وتنمو علي التشجيع، وتضمحل وتموت علي التثبيط. وليس معني ذلك ألاَّ يُنتقد الطفل أو يُراجع إذا أخطأ، ولكن ما أبعد الفارق بين المراجعة في رفقٍ وحُبٍّ، وبين المراجعة في لومٍ وتحقير.

✽ يجب أن يكون الآباء والأمهات ودودين ومُتقبلين لأطفالهم، فإذا أراد الأطفال أن يتحدثوا عن أشياء تخصهم، أو طرح أسئلة تُورقهم وَحَب علي الآباء أن يسمحوا لهم بذلك، علي أن ينصتوا إليهم جيداً، ومُحاولة الإجابة علي كافة تساؤلاتهم بعناية واهتمام، فإذا كان الوقت ضيقاً يستطيع الآباء أن يعدوا أطفالهم بتأجيل ذلك إلي وقتٍ لاحقٍ؛ ليسطيعوا التحدث بأسهائهم، والمهم في ذلك أن يفِي الآباء بما قطعوه علي أنفسهم من وعودٍ للأطفال.

✽ عندما تتوقع الأسرة وليداً جديداً؛ فإن الأطفال الصغار يحتاجون للحُبِّ والحنان، فقد يظنون أنهم سيفقدون الكثير مع قدوم هذا العضو الجديد إلي الأسرة، ولذلك ينبغي علي الوالدين أن يهتموا بالطفل الأقدم، ويهيئوا له المناخ المناسب ليُساعدوه علي فهم هذا الحدث. كما يجب عليهما عدم المُبالغة في الاهتمام بالوليد الجديد مُتغاضين عن حاجة الطفل القديم للدفاء والحنان، ومن المُستحسن ألاَّ يُهمل الوالدين أية فرصة لإظهار اهتمامهما بالطفل في هذه الظروف.

✽ من أكبر الأخطاء التي يقع فيها الآباء والأمهات علي حدٍ سواء هو عقد مقارنات بين الأطفال وإخوتهم أو أخواتهم؛ لأن ذلك من شأنه أن يُمرر أواصر الحُبِّ والألفة بينهم، ويُشعل في نفوسهم لهيب الغيرة الهدامة التي تنعكس - بصورةٍ غير مرغوب فيها - علي تطوُّر نموِّهم الوجداني والسلوكي، حيث يجتاحهم شعورٌ دائمٌ بالخطر وعدم الاستقرار. إن الطفل ليكون أشد احتياجاً لأن يشعر بأن أسرته وأهله يُحبونه كما هو، ويتقبلونه لذاته دون أن يُكذبوا عليه صفو حياته؛ ولذا يتعين علي الآباء والأمهات اختيار الكلمات وانتقاؤها، للتعبير عن وجهة نظرهم فيما يصدر عن الطفل من سلوك، بحيث يشعر بمدي حُبِّ الوالدين الصادق له واهتمامهما به. كما أنه يمكن إظهار مشاعر الحُبِّ للطفل عن طريق إبراز ما لديه من صفات طيبة، أو قدرات عالية، أو مهارات مُتميزة أمام الأهل أو الأصدقاء، بما يُكسبه الإحساس بالأمن وإدراك قدراته واستبصاره السليم لذاته.

الفصل الثاني

إشباع حاجة الطفل إلى الأمن والاطمئنان



① أهمية الحاجة إلى الأمن:

الأمن Security بمعناه السيكولوجي (النفسي) هو شعور المرء بقيمته الشخصية واطمئنانه إلى وضعه، وثقته بنفسه، وهو شعور ينشأ لدى الطفل في أعقاب حصوله علي نسبة كافية من التقدير والتشجيع، سيما من جانب والديه أو معلميه أو المعنيين بأمره.

والحاجة إلى الأمن The Need of Security هي حاجة مُلِحَّة يحتاج إليها الطفل من أمه وأبيه ومن كل الكبار حوله، ويستمر هذا الدافع حتى مع الكبار البالغين؛ لأن البالغ يخشي المستقبل ويريد أن يطمئن علي مستقبله، وقد نجده في سبيل ذلك يدخر مالاً، أو يعمل ليشغل منصباً يوفر الأمن والطمأنينة له ولأسرته من بعده.

كَمَا أن المرء يحتاج إلي أن يشعر بأنَّه بعيد عن الخطر، سواء أكان خطراً مادياً يُهدِّد حياته أو صحته، أم خطراً معنوياً أو عاطفياً يُهدِّد سعادته واطمئنانه، وعلي ذلك فالطفل في حاجة إلي أن يشعر أن وراءه أباً أو أمّاً أو أخاً يحمونه ويدفعون عنه الخطر، ويشعرونه بالحبِّ والود، ويوفرون له ما هو في حاجة إليه من مأكَل ومشرب وملبس.

والإحساس بالأمن يتأكَّد في الطفولة من شعور بأن له مكاناً في المجتمع الذي يولد فيه، وله بيت يأويه، وأسرة تحتضنه تسودها علاقات مستقرة، وونام ونظام مؤسس من العلاقات التي تُشكِّل في النهاية نظاماً مستتباً ومعروفاً.

كَمَا يتولَّد الشعور بالأمن من إحساس الطفل بأنَّه حينما يمرض يجد مَنْ يرعاه، وحينما يجوع يجد مَنْ يوفر له الطعام، وحينما يشعر بالبرودة يجد مَنْ يوفر له الكساء، وحينما يُجابه مشكلة أعلي من مستوي إدراكه يجد مَنْ يُساعده في حلِّها والتغلب عليها، ويُعيّنه علي اكتساب الخبرة.

ولعلَّ أهم ما يقع هذه الحاجة هو شعور الطفل بانصراف والديه عنه، أو شعوره بأنَّه مُهمَل ومتروك للخير الذين تخلُّو معاملتهم من العطف والحنو.

والشعور بالأمن مسألة ثقة يكتسبها الطفل عند تفاعله مع البيئة الأسرية المحدودة التي يتفاعل معها، فتوقع الطفل رد فعل مُعيّن من الأب أو الأم يعني استقرار العلاقة في الحاضر والمستقبل، وهذا يعني أمناً بالنسبة للطفل. أمّا وجود الأباء المُتقلِّبين، الهوانيين، غير المستقرين عصيباً، فلا يُسبِّب وجودهم أمناً أو طمأنينة للطفل، حيث إن ردود فعل هؤلاء الأباء لا يستطيع الطفل التكهّن بها.

② الأم ودورها الحاسم في إحساس بالأمن:

يحتاج الطفل إلي أن يشعر أنَّه بمنأى عن الخطر سواء أكان الخطر مادياً يُهدِّد حياته بطريقة مباشرة، أو خطراً معنوياً يُهدِّد أمنه وسعادته.

والحاجة إلي الأمن والاستقرار من أقوى الدوافع والحاجات النفسية التي يحتاجها الطفل، وهو يعني أن يشعر بأن مَنْ يحيطون به يتقبلونه، ويعملون علي إشباع دوافعه وحاجاته. بمعنى أن البيئة المُحيطة به تحوطه بالحنو والحب والرعاية، ويقوم هذا الإحساس علي الخبرات الفعلية، فلن يكون الطفل أمناً يجب أن يحظي من الوالدين وخاصةً الأم بإشباع حاجاته الأولية بدرجة كافية وفي ظروف طبيعية آمنة، وتمثّل الظروف الطبيعية في أن تكون الأم متقبلة لطفلها، حانية عليه.

وقد أوضح "أريكسون" أن تكوين الشعور بالأمن عند الطفل يبدأ منذ العام الأول، فيما أسماه "الإحساس بالثقة" Sense of Trust. فهذا الإحساس يعتمد علي أن الطفل يجد ما يتوقعه، فإذا توقع الطعام وجد ثدي الأم الذي يقضي به علي الأم الجوع، وعندئذ تكون البيئة والمُتمثلة في رعاية الأم وحنوها، وكذا الآخرون المحيطون به محل ثقته، فيمكن للطفل الاعتماد عليهم كمصدر للإشباع الدائم كلما احتاج إليه، وهذا الإحساس هو الأساس في تكوين الشعور بالأمن.

وعلي ذلك فالأم هي صاحبة الدور المهم والحاسم في خلق إحساس الأمن في نفس الطفل، باعتبارها المنوط بها رعاية الطفل، وإشباع حاجاته في سنيه الأولى من طعام وشراب ونظافة.. وغيرها. والأم هي رمز الإشباع عند الطفل وبالتالي، فهي مصدر الأمن الأساسي، والأم تأخذ هذا المركز المهم والمؤثر ليس بصفقتها الأم البيولوجية، ولكن بصفقتها الأم السيكولوجية التي تمنح الدفء والحب والحنان وتقوم بالرعاية والاهتمام والأمان. وبذلك تصبح الأم - باعتبارها مصدر الحنان للطفل وملاذه في إشباع حاجاته - السند الانفعالي والوجداني له. فهو بلا شك يشعر بالأمن في وجودها ويفتقدها بشدة إذا غابت عنه، ولذلك يمثل رحيل الأم بالانفصال أو بالوفاة خبرة صادمة ومؤثرة في حياة الطفل الانفعالية والوجدانية. ومن الثابت نفسياً أن الشخص الذي يفقد سنده الانفعالي في الصغر يكون شديد الحرص علي طلب الأمن في الكبر.

٥٠ الذكاء.. والإحساس بالأمن:

يحتاج الطفل الذكي إلي الحصول علي مصادر أمن أكثر من أقرانه متوسطي الذكاء؛ لأنه كلما ارتفع معدل ما يملكه من ذكاء ازداد وعيه وإدراكه بالأخطار المادية والمعنوية المحتمل أن يُقابلها. وذلك فمن الضروري توفير مصادر الأمن لضمان استقرار مثل هذا الطفل الذكي وهدونه الانفعالي في المستقبل.

أما إذا لم يتوفر الأمن بالدرجة الكافية، فيؤدي ذلك إلي وقوعه في دوامة الخوف ومن ثم القلق والتوتر المُصاحب له، واعتلال صحته النفسية ليجنح في النهاية إلي اللأسوية.

٥١ تطور حاجة الطفل إلي الشعور بالأمن:

♦ أولاً: مرحلة الرضاعة (من الميلاد وحتى نهاية السنة الثانية):

الطفل في هذه المرحلة أكثر إلحاحاً في طلب الحاجة إلي الإحساس بالأمن النفسي والطمأنينة، ذلك لأنه لا يزال في حاجة إلي الاعتماد علي غيره، وتزداد رغبة الطفل في الإحساس بهذه الحاجة - خاصة في السنة الأولى - إذا ما دخل أماكن جديدة لأول مرة؛ لأنه يري فيها أشياء غير مألوفة لديه، قد تُسبب له الإحساس بالقلق والفرح إذا لم يكن بصحبة والديه، لأنَّ الوالدين بالنسبة للطفل - وخاصة في هذه المرحلة - يعتبران مصدر إحساسه بالأمن النفسي.

وتصبح هذه الحاجة مطلباً ملِحاً وضرورياً للطفل حال إصابته بمرضٍ من الأمراض، أو إحساسه بالألم أو الشعور بالتعب، أو في حالة غضبه أو بكائه، أو أي سبب من الأسباب الأخرى التي تجعله في حالة من القلق المستمر. فإذا أحس الطفل خلال هذه المواقف أنه

موضع اهتمام ورعاية ممتن يُحيطون به - وخاصةً الوالدين - فإن حاجته لإشباع شعوره بالأمن النفسي والطمأنينة يمكن أن تتحقق.

ولكي يتم إشباع حاجة الطفل للإحساس بالأمن، لا بد من أن ينال العناية الكاملة أثناء عملية الرضاعة، ذلك لأن الأمن النفسي مرتبط بالأمن الغذائي، فلا يمكن فصل إشباع حاجة الطفل إلى الطعام والشراب عن إشباع حاجته إلى الأمن النفسي. ولذا، يتحتم على الأم أن تكون في حالة نفسية طيبة عند إرضاع وليدها؛ لأن الهدوء النفسي الذي تتمتع به الأم حال الإرضاع الطبيعي ينعكس على الطفل، وعلى ذلك يمكن لها أن تلمس جسم طفلها، وتتحسس شعره، وتربت على كتفيه؛ لأنه بذلك ينال الأمن الغذائي مثلاً في لبن الأم، وفي الوقت نفسه يُشبع حاجته إلى الأمن النفسي عن طريق هذه المشاعر العاطفية التي تبديها الأم لوليدها. ولأن الرضاعة مصدر أساسي ومهم لإحساس الطفل بالأمن النفسي والطمأنينة، يجب على الأم أن تبتعد عن فكرة الرضاعة الاصطناعية؛ لأنها لا تُعطي للطفل سوي إشباع حاجته إلى الطعام والشراب، ولكنه يفقد الإحساس بالأمن النفسي. وإذا ما حالت الظروف الصحية بين تحقيق الرضاعة الطبيعية للأم، فلا بد من أن تكون على درجة من الوعي والإدراك لأهمية إشباع الحاجة إلى الأمن النفسي لطفلها بمحاولة تمثيل الرضاعة الطبيعية، أي احتضان الطفل بين ذراعيها ومداعبته وإصاقه بجسمها.

وقد أشارت نتائج الدراسات في هذا المجال إلى أهمية الاتصال البدني بين الأم وطفلها أثناء إرضاعه وبين ما يشعر به من مشاعر وأحاسيس لملاصقتها إياه، في تكوين الارتباط العاطفي بينهما، وما يمكن أن يكون عليه الطفل من سواء الشخصية. ويمكن للأم أن تدرك عن طريق الملاحظة أن الطفل ينام بعد كل رضعه، أو تبدو عليه علامات المرح والهدوء، وهي دلائل على شعوره بالإشباع وإحساسه بالأمن، ممّا أدى إلى استرخاء أعصابه ونومه أو سروره.

وممّا تقدم يمكن القول بأن الطفل في هذه المرحلة يتطلّب لبناء شخصيته الإنسانية السوية إشباع حاجة إلى الأمن والطمأنينة، ذلك لأنها تُسهم إسهاماً إيجابياً فيما يكون عليه النمو النفسي السليم للشخصية، وما يمكن أن يتمتع به الإنسان من مستوي الثقة بالنفس والصحة النفسية السليمة.

• ثانياً: مرحلة الطفولة المبكرة (من عامين إلى ستة أعوام):

وتظهر في هذه المرحلة مشاعر الخوف، فيلاحظ أن الطفل يخاف من الأشياء التي تُهدّد ذاته وتُفقده الإحساس بوجوده؛ ولذلك يُعتبر استمرار الحاجة إلى الأمن النفسي والطمأنينة أمراً مهماً يجعله يُدرك بأنه محمي من أية عوامل خارجية قد تُهدّد حياته أو مستقبله، وبناءً على هذا ينمو الطفل في مناخ نفسي يُحقق له القدرة على المبادرة بالاتصال بغيره، ممّن هم في مثل عُمره دون خوف أو وجل، الأمر الذي يترتب عليه إحساسه بالقدرة على إشباع حاجته إلى الانتماء لجماعته، سواء كانت هذه الجماعة هي أسرته أو رفاقه، بحيث يُدرك ما لديه من قدرات وإمكانات وطاقات فيترتب عليه أن يتوافق توافقاً اجتماعياً سوياً وسليماً.

• ثالثاً: مرحلة الطفولة الوسطى (من ستة إلى تسعة أعوام):

طبيعة النمو في هذه المرحلة تتطلّب الاستمرار في إشباع حاجة الطفل إلى الأمن النفسي والطمأنينة، ممّا لها من أهمية في إحداث الاتزان الانفعالي للطفل، لأنه كلما شعر الطفل

بالاطمئنان والأمان كلما أيقن أن سلوكه الذي يُصدره إنمّا هو سلوك سليم وإيجابي. بالإضافة إلى قدرته على إقامة علاقات اجتماعية مثمرة تُكسيه مزيداً من الخبرات الإيجابية.

♦ رابعاً: مرحلة الطفولة المتأخرة (من تسعة إلى اثني عشر عاماً):

لا تتمثل الحاجة إلى الأمن والاطمئنان إلى تلبية حاجات الطفل المادية من مأكل ومشرب وملبس فحسب، إنمّا تتمثل أيضاً في مدى الإشباع العاطفي، وإحساس الطفل بأنّه لا يزال موضع القبول من والديه وبقية أفراد أسرته ومُعلّميه؛ ولذا .. يجب على كل من الوالدين والمُعلّمين أن يهتموا كثيراً بحاجات الطفل الأساسية، والعمل على إشباعها بالقدر المعقول والمناسب، وأن يهيئوا له مناخاً أسرياً ومدرسياً صالحاً وسوياً، بما يجعل الطفل يشعر بالثقة بنفسه وبالآخرين أيضاً؛ فيفصح عمّا بداخله من رغبات، ويُنفّس عمّا لديه من طاقات انفعالية، والتخلّص من مكبوتاته بطرق سوية ووسائل ملائمة ومناسبة، وبهذا يُسهّم إشباع هذه الحاجة في المحافظة على ما لديه من أمن نفسي وطمانينة؛ فيدفعه هذا إلى ممارسة أنواع الأنشطة المختلفة التي تُحقّق له مزيداً من الصحة النفسية التي نبتغيها أو نسعى إليها.

❶ أهم عوامل فقدان الطفل الإحساس بالأمن والاطمئنان:

♦ أولاً: القلق النفسي:

القلق Anxiety هو المسؤول الأول عن تصدّع الشخصية وتفكّكها، وانقلاب السلوك عن المعايير السوية. والقلق قد ينشأ في حياة الطفل نتيجة لصغر سنه، وجهله، أو لضآلة حجمه، فإذا حدث أي شيء غريب في الوسط المحيط به، فقد يُسبّب له إزعاجاً. وهناك أمثلة كثيرة على ذلك نذكر منها مثلاً: تحطم زجاج النافذة، أو الماء الذي ينساب من الصنبور بشدّة ولا يستطيع الطفل غلقه، أو عندما يدخل البيت شخص غريب لا يعرفه الطفل.

وقد ينشأ القلق أيضاً في حياة الطفل نتيجة لعدم صفاء الجو الأسري، خاصّة تلك المُشاحنات التي تنشأ بين الوالدين في وجود أطفالهما، فيفقد الطفل إحساسه بالأمن الذي يستمدّه من والديه مصدر الحب والحنو ومبعث القيم السامية والمثل العليا، وبالتالي تهتز القيم والمعايير في نفسه اهتزازاً عنيفاً ممّا ينعكس على سلوكه. ولذلك ننصح بتجنب المناقشات الحادة أمام الأطفال حفاظاً على صحتهم النفسية، فلا يصح أن يري أو يسمع الأطفال آباءهم وهم يتناحرون ويتصارعون فيما بينهم.

وقد يكون مصدر القلق هو إتباع الوالدين الأسلوب العشوائي المُجافي للأساليب التربوية القويمة، إمّا عن جهل أو ضيق أفق، كاستخدام أساليب القسوة، أو اللوم المتكرر، أو المُعايرة والتجاهل، أو التوبيخ والتأنيب، فيكبت الطفل هذه المشاعر المؤلمة في أعماق اللاشعور، على حين تعاود هذه المكبوتات الظهور من حين لآخر، في شكل دفاعات لا سوية؛ فيلجأ الطفل لا شعورياً إلى التبرير، والانسحاب، والإسقاط، والعدوان، أو إلى الانطواء والإحساس بالدونية والشعور بالنقص؛ فيقضي الطفل سنوات عُمره في قلق وتوتر وصراع ممّا يفقده مقومات الصحة النفسية، فيقع صيداً سهلاً للأمراض النفسية وما يترتب عليها من ترد وانهيار وتفكّك.

وقد أثبتت الدراسات السيكولوجية أن الشعور بعدم الأمن يؤدي إلى القلق الذي يؤثّر بدوره تأثيراً سلباً على النمو الفسيولوجي، والعقلي، والانفعالي للطفل.

•ثانياً: النبذ والإهمال:

هناك عددٌ من الآباء والأمهات ينبذون أطفالهم سواء بالقول أو بالفعل، الأمر الذي يترتب عليه افتقارهم الإحساس بالأمن النفسي والطمأنينة، فتنمو لديهم روح العدوانية والرغبة في الانتقام، وزيادة حساسيتهم في المواقف المختلفة ليصبحوا عنيدين وأنانيين. وقد يؤدي هذا النبذ إلي انحرافهم أو جنوحهم، أو إلي الاستكانة والاستسلام؛ فيصيروا جبناء لا يستطيعون التركيز الذهني فيما يُكلفون به من أعمال، ممّا يؤدي إلي تخلفهم عن أقرانهم فتظهر لديهم اضطرابات الشخصية في المراحل التالية لنموهم.

وقد يعامل الآباء والأمهات أطفالهم بنوع من الإهمال وعدم الاكتراث، الأمر الذي يؤدي إلي تعرّضهم للأخطار. فها هو طفلٌ يتناول جرعات من مادة سامة لأن أسرته في غفلةٍ عنه؛ فالطفل يميل - بحكم نموه - إلي حب الاستطلاع، ولذلك فهو يُحاول أن يُجرّب كل شيء يُقابلة في طريقه. وهذا التجريب لو تم بدون رقابة والدية، فإن عواقبه تكون سيئةً ووخيمة؛ لذلك نؤكد علي أن عملية الأمن والأمان تتم من خلال تعامل الطفل مع كل مقومات البيئة، ومن خلال رقابة ضمنية تُعطي السّمح حينما لا يكون هناك خطر علي حياة الطفل وسلامته، وتمنع حينما يكون هناك نذير باخطر.

•ثالثاً: النقد والسخرية:

من الأشياء التي تُفقد الطفل إحساسه بالأمن النفسي والطمأنينة، الإفراط في النقد أو البحث عن الأخطاء وتضخيمها، الأمر الذي يجعل الطفل يفقد الثقة بنفسه، ويزيد الأمر صعوبة إذا كان هناك أقارب يعيشون في نفس البيت، كالجد أو الجدة فيشاركون في توبيخ الطفل وتأنيبه.

وللسخرية أيضاً أثرها البالغ في فقدان الطفل إحساسه بالأمن والاطمئنان، وعلي ذلك فلا يجوز أن نسخر من أخطاء الطفل أو مخاوفه أو خجله، كمّا لا يجوز أن نناقش عيوب الطفل أمامه، سيما في وجود أشخاص غرباء.

ومن الأسباب الأخرى لفقدان الأطفال الصغار إحساسهم بالأمن وانعدام الثقة بأنفسهم ما يُطلقه الكبار عليهم من أوصاف، فكثيراً ما يصف الآباء أو الأمهات أو الأقارب أحد الأطفال بأنّه: "خائب"، أو "سبي الخلق"، أو "غبي". فهذه الأوصاف - وغيرها - تؤدي إلي فقدان الشعور بالأمن والاطمئنان. بينما تُطلق عكس هذه الأوصاف علي أخيه أو أخته، ممّا يُزكي شعور الطفل بالغيرة والنفور والكرهية.

•رابعاً: فرط الحماية:

الحماية المفرطة ترجع إلي رغبة الأم - علي غير وعي منها غالباً - في إبقاء الطفل مُعتمداً عليها اعتماداً كاملاً ودائماً! إلهي التي تطعمه، وهي التي تلبسه ثيابه، وهي التي تُساعده في قضاء حاجته وتنظيف جسده، علي حين يكون الطفل السوي قد تعلّم منذ أمد طويل كيف يعني بنفسه في كل هذه الجوانب والأمور. وبذلك يبقى طفله غير مُكتمل النضج، وغير قادر علي الاندماج مع الأطفال الآخرين بسهولة. والطفل الصغير المُحاصر بهذه المشاعر كثيراً ما يغضب علي أمه لأنّها لم تمنحه الاستقلال والحرية.

وتظهر الحماية المُفرطة في أشكالٍ مُتعدِّدة، فقد لا تسمح الأم لطفلها بالخروج في نزهة خوفاً من تعرُّضه للحوادث، أو من أن يلعب مع الأطفال الآخرين حتى لا يكتسب سلبياتهم أو أسلوبهم الغير مهذب، وهي الأم التي تمنع طفلها من اللُّعب في المنزل علي هواه وتتدخل باستمرار لمساعدته أثناء لعبه، وهي التي تُشجعه علي استخدام كلمات الأطفال الصِّغار بل تقوم بتدليله كالصِّغار عندما يكون قد أصبح صبياً كبيراً.

هذا.. وتظهر الحماية المُفرطة عندما تكون الأم قد مرَّت بحياةٍ غير سعيدة، فتبذل جهدها لتحصل من طفلها علي أكبر قدر ممكن من الحب، وقد تظهر هذه الحماية خاصةً إذا كان والد الطفل قد توفي، أو إذا جاء الطفل بعد انتظار طويل، أو إذا كان من جنس مطلوب (ذكر مثلاً) وكان مولده بعد كثير من الأطفال من الجنس الآخر (الإناث). ومن المعروف أن هؤلاء الأطفال ينزعون إلي التمرد علي هذه الحماية المُفرطة بمجرّد أن يستطيعوا الإفلات من المنزل، وهؤلاء معرضون للحوادث أكثر من غيرهم من الأطفال.

٥٠ الطفل آمن في بيته.. متوجس خارجه!!

يكون الطفل - في الغالب - آمناً في بيته، سيما إذا كانت العلاقة بين الطفل وأبويه علاقة يسودها نفع المشاعر من حبٍّ وحنانٍ وإيثار، هذا من جانب، كما يُحس الطفل بالأمن والاستقرار متى كانت القيم داخل نطاق الأسرة تميل إلي المرونة وعدم المُغالاة في الضوابط والنواهي من جانبٍ آخر.

علي أن الطفل إذا ذهب إلي مكان لم يره إلا لأول مرّه أحس بالخوف والرَّهبة، فنجدّه صامتاً، وإذا تحدث فإنّه يكون قليل الكلام، ويمتنع أحياناً عن تناول الطعام والشراب الذي يُقدّم إليه، وهو لا يجرؤ كذلك علي اللُّعب مع أقرانه الغرباء. وهذه كلّها في حقيقة الأمر ظواهر نتجت من عدم إحساسه بالأمن، ولكن إذا ما تكررت زيارته لهذه الأماكن، وتردد عليها بين الحين والآخر، نراه وقد استوعب جيداً قواعد وضوابط وقيم هذه الأماكن وبالتالي يتخلّص تدريجياً من الإحساس المزمن بفقدان الأمن.

٥١ أشياء مُعتادة بالنسبة للطفل تجعله يشعر بالأمان!!

قد ينشئ الطفل بمصاحبة لعبه التي يؤثرها ويحبها أثناء ذهابه إلي الفراش، فقد يصطحب الطفل جواده (حصانه) أو عربته، وقد تصطحب الطفلة عروسيتها قبل أن تستغرق في النوم.. وكل هذه الأمور مدعاة لطلب الأمن والأمان. كذلك يشعر الطفل بالأمن إذا نام في فراشه المُخصَّص له دون أن تدعوه الظروف إلي استبداله أو تغييره.

وقد يُفضّل الطفل سماع القصص والحكايات من أبويه وذويه بنفس الكلمات المُعتادة أو المألوفة كي يشعر بالأمن والاطمئنان، واعتياد الطفل لنفس الشئ سواء اللُّعب أو الأماكن أو الأشخاص، يُعطيهِ الإحساس بالأمن والأمان. وهذا ما يُفسّر انزعاج الطفل عند رؤيته أشخاصاً غرباء غير مألوفين لديه، ولكن حينما يألف الطفل هؤلاء الأشخاص يتلاشي الخوف والانزعاج، ليحلّ بدلاً منه التعود والحب والترحيب والاندماج.

٥٢ الشعور بالأمن.. والثقة بالنفس:

إن كل طفل سوي عندما يبلغ سن التسعة أشهر أو نحوها يبتهج بالثناء والتشجيع، وهو يزدهر بقدرته علي اكتساب مهارات جديدة، وعلي عمل أشياء مُعيّنة دون مساعدة من جانب

الكبار..ولذا فإِنَّه يحتاج إلى الحرية حتى يتمكّن من اكتساب الخبرة،لكنها يجب أن تكون حرية في حدود النظام والطاعة.

وفي هذه السن أيضاً يبدأ الطفل في تكرار الأفعال التي يضحك منها الكبار،ثم ينمو معه هذا الميل لجذب الانتباه واستدرار التشجيع حتى يبلغ أربع سنوات،فهذه التصرفات وغيرها تتم عن حاجته إلى الحب والأمن والتشجيع،وهي حاجة طبيعية.وعلي ذلك فلا يجب أن يخشى الأباء إفساد أبنائهم بالتشجيع أو بإطراء مواهبهم،فلا مانع من الثناء علي ما يرسمه الطفل من لوحاتٍ حتى وإن كانت متواضعة المستوى،وأن نستمتع باهتمام إلي ما يرويه من قصصٍ وحكاياتٍ حتى وإن كانت غير مشوقة،فإذا لم نفعل ذلك سُعر الطفل بخيبة الأمل،وكف عن عرض إنجازاته علينا.

وبعد بلوغ الطفل سن العام والنصف يجد متعة في المشاركة في الأعمال المنزلية،وفي أداء بعض الأعمال بيديه بعد أن يُراقب أمه أثناء أدائها.وكل ذلك يحتاج إلي تشجيع ويحتاج أيضاً إلي مساعدة وخاصة في الأيام الأولى.ولكن ما أن يغدو الطفل قادراً علي القيام بهذه الأعمال دون مساعدة حتى يكون من واجب الأم أن تتركه يفعل كل ما يستطيع بمفرده.

وحينما يبلغ الطفل عامين من عُمره لابد أن يُشجع علي خلع ملابسه بنفسه وعلي ارتداء جواربه وأحذيته أيضاً، نعم.. الطفل في سن العامين يستغرق وقتاً أطول من طفل الثلاثة أو الأربعة أعوام مثلاً،ولكنه بذلك إنّما يتعود الاستقلال ويكتسب إحساساً بالأهمية،ويتعلّم كيفية استخدام يديه،وكل هذا يمنحه إحساس الثقة بالنفس،ومن ثمّ يتهيأ للمهام الكبرى التي ستواجهه في المستقبل بثقةٍ واطمئنان.

لابد أن نعي إذاً أنّ التشجيع يصنع المعجزات،في حين لا يؤدي الغضب والضيق وتثبيط الهمة إلا إلي الإضرار بالطفل،فمن السهل أن نقول للطفل:” أنت طفلٌ عنيدٌ لا فائدة منك“، أو نقول له:” إن متاعبك أكثر من نفعك“،عندها يفقد الطفل إحساسه بالثقة في النفس، وبالتالي يُحس أن البيئة الأسرية لا توفر له حاجته إلي الأمن والاطمئنان.

وننوه..بأن الغضب الذي نوجهه للطفل إنّما يفقده الثقة بنفسه وبأمنه واطمئنانه،فإذا حدث مثلاً أن أسقط الطفل كوباً من الماء وهو بهم يتناول،فالأفضل للآباء والأمهات أن يُقدّروا هذا الأمر تقديراً صحيحاً علي أساس أنّه خطأ غير مقصود من الطفل،إذ من الخطأ البالغ أن نمنعه من المساعدة أو الاعتماد علي النفس مستقبلاً،كمّا أننا نُخطي أشد الخطأ إذا بالغنا في القلق تجاهه.كمّا أن النصح المستمر بالحذر والانتباه لا يُجدي شيئاً،فالطفل يتعود تجاهل هذه التحذيرات المستمرة،ومن الخطأ أيضاً أن نُحمل الطفل شديد الحساسية مسؤولة لا يكون قد تهيأ لحملها؛لأن إخفاقه قد يؤدي إلي فقدان الثقة بالنفس،وبالتالي فقدان أمنه واطمئنانه.

الفصل الثالث

إشباع حاجة الطفل إلى الانتماء



⑤ دائرة الانتماء.. والطفل:

لابد أن نؤكد في البداية أن الإنسان بطبيعة تكوينه هو كائن اجتماعي، وبالتالي فإنه يحتاج دوماً إلي الانتماء لجماعة، حيث يكتسب ذاتيته ومكانته الاجتماعية، عندها يشعر بالراحة والسعادة والصفاء النفسي.

والفرد منذ أن يعي ذاته ويعي الآخرين من حوله يُحس أن حياته مرتبطة بجماعة الأسرة التي تكفل له كل احتياجاته عن طريق إشباع هذه الحاجات إشباعاً سوياً وصحياً، فبحسب بالانتماء إليها، وإلي كل فرد من أفرادها؛ فالأسرة هي أول جماعة ينتمي إليها الفرد، فهي التي يقترن اسمها باسمه، وتظل تُصاحبه طوال مراحل حياته حتى وإن استقل عنها فيما بعد. ثم تتسع دائرة هذا الانتماء، فينتمي الفرد إلي جماعات أخرى عديدة كجماعة الرفاق والأصدقاء، وجماعة المدرسة، ثم الجماعات الدينية أو السياسية أو الرياضية.. الخ.

وللأسرة دورٌ مهمٌ وحيويٌ في اختيار هذه الجماعات التي ينتمي إليها الفرد (طفلاً أو مراهقاً)، فهي تُبصره بأهداف هذه الجماعات، وفوائدها أو مضارها، كما توجهه إلي أسس التعاون والمشاركة الاجتماعية السليمة، فلا غرو إذاً أن يكون لهذا الدور التوجيهي الذي تقوم به الأسرة قيمته وفائدته.

⑥ نمو حاجة الطفل إلي الانتماء:

المرء في حاجة إلي أن يشعر بأنه جزء من مجموع تربطه به مصالح مشتركة، تدفعه إلي أن يُعطي ويأخذ، وإلي أن يتلمس الحماية والمساعدة من هذا المجموع، كما أنه في حاجة إلي أن يشعر بأنه يستطيع أن يمدّ غيره بهذه الأشياء في بعض الأحيان.

وتتمو حاجة الطفل إلي الانتماء منذ الشهور الأولى، فالحب أو الألفة التي تتحقق داخل نطاق الأسرة سرعان ما تصبح ولاءً وانتماءً لهذا المجتمع الصغير، ثم تنتقل هذه الحاجة للجماعات الأخرى التي يجد فيها الطفل إشباعاً لحاجاته النفسية والاجتماعية.

والطفل كعضو صغير من أعضاء الأسرة يبدأ في الشعور بأنه ينتمي إليها، فكلما تقدّم به العمر يزداد هذا الشعور رسوخاً وبالتفان مع أبويه يري أنه ينتمي أيضاً إلي آباء آخرين كأعمامه وأخواله، أو إلي أصدقاء الوالدين. وقد تتاح للطفل الفرص للاحتكاك بالأطفال الآخرين من أقرباء وأصدقاء، ونتيجة للعلاقات الدافئة الحانية بين الطفل وأمه؛ فإنه يتقبل الكائنات الإنسانية الأخرى تقبلاً يتسم بالثقة، أو يتقبلهم كأناس ودودين، ثم يتعلم كيف يكون ودوداً نحو الآخرين، وأن يجد أناساً يُحبهم ويحبونه.

وبمرور السنين يُدرك الطفل أن الانتماء هو الشيء الذي يلقي تقديراً، وأن المودة نحو الآخرين هي التي تجعلهم يرغبون في صداقته، ولذلك فهو يتوقع أن يكون جزءاً من الجماعة التي يشترك فيها حتى يشعر بالانتماء لا النبذ والاغتراب.

ونوه.. بأن هناك عدداً من الآباء والأمهات يبتون في أطفالهم اتجاهات سلبية نحو نبذ الآخرين، وعدم التودد مع الناس إلا في حدود ضيقة جداً، عملاً بالمثل الشعبي المصري الذي يقول "الاختصار عبادة". وهنا يستلزم من هؤلاء الآباء والأمهات إعادة النظر فيما يتبنونه من اتجاهات، حيث لا يمكننا تصور حياة بدون أهل أو أصدقاء، لأنه كما قلنا من قبل، فإن الإنسان كائن اجتماعي بطبيعته، فكيف ننكر هذه الحقيقة هكذا دون سند أو مبرر؟!

وهناك حالات ينشأ الطفل فيها بقدر ضئيل من الانتماءات، كأن يكون وحيد والديه، وهنا يتحتم تشجيع مثل هذا الطفل علي إقامة علاقات اجتماعية مع أصدقائه وأترابه بشكل أكبر ممّا لو كان له إخوة أو أخوات.

أيضاً يحس الطفل بعدم إشباع رغبته إلي الانتماء إذا كان غير مرغوب فيه من أصدقائه أو زملائه؛ لأنه يميل مثلاً إلي العدوانية أو الأنانية أو التسلّطية. وهنا يتحتم علي الآباء والمربين معالجة الانحرافات السلوكية للطفل بأساليب علمية وطرق تربوية؛ لأنه عندما ينشأ الطفل في هذه الظروف الغير مواتية لإشباع حاجته إلي الانتماء، فإنه يحس بالتبذ والاعتراب وبالتالي يُصاب بالإحباط، ممّا يصيب صحته النفسية بالخلل والتردي.

❶ كيف نكتشف حاجة الطفل إلي الشعور بالانتماء؟

يحتاج الطفل بطبيعة الحال إلي الانتماء من خلال تكوين صداقات مع الآخرين، وأن يصبح عضواً فاعلاً ونشطاً في جماعة ما من الجماعات، فإذا لم يُحقّق هذا شعر بأنه مهمل أو غير مرغوب فيه، ومن ثم يُعبّر عن رغبته هذه بطرق كثيرة، فنجده يقول مثلاً: "لماذا لم يقع عليّ الاختيار كي أكون عضواً في جماعة الصحافة؟" أو "لماذا لا يودّ زملائي في المدرسة محادثتي في التليفون؟". إن مثل هذه التساؤلات وغيرها تدل علي نقص حاجة الطفل إلي الانتماء.

وعندما يقول الطفل: "أتمني لو أنّ والديّ يسمحان لي بدعوة أصدقائي المقربين إلي منزلي لنقضي سوياً وقتاً ممتعاً مثلما تفعل أسرة تامر". عندها لابد أن يتيقن الوالدان أنّهما يُضيقان الخناق علي الطفل ويحصرانه في دائرة لا تستوعب أيّاً من أصدقائه أو رفاقه. وعلي هذا يتحتم أن يُسمح له باستضافة أصدقائه إلي المنزل ليشاركوه مناقشته المختلفة، بل وينبغي الترحيب بهم والعناية بضيافتهم؛ فإن مثل هذه الأمور خليقة بأن تجعل الطفل فخوراً بأسرته، مُعتزاً بالانتماء إليها.

أمّا عندما يقول الصّغار عبارات، مثل: "إبني لم أرغب قط في مصاحبة هؤلاء الأطفال"، أو: "أنا لا أحب التعامل مع هؤلاء". فينبغي أن ندرك أن الطفل إنّما يشعر بالتبذ والاعتراب، ولكنه يآبي الاعتراف بذلك، وبالتالي فهو كثيراً ما يأتي بعبارات التعلّل أو التمتّع، وعندها نعرف علي الفور أن الطفل يُعاني من مشكلات سوء توافق أو سوء تكيف مع الآخرين. ولهذا يتحتم التصدي لهذه المشكلات التي تواجه الطفل وعلاجها، بحيث يستطيع أن يتكيف تكيفاً سوياً وسليماً مع الآخرين.

كما تتجلّي حاجة الطفل إلي الانتماء في الطريقة التي يتصرّف بها، فإحساسه بأن الجماعة تنبذه يجعله يُفضّل البقاء علي هامش النشاط الجماعي، فهم يُؤثر أن يكون متفرجاً لا مشاركاً، ولذلك كثيراً ما نراه يلجأ إلي الانفراد بنفسه، ويتحاشى الاختلاط بالآخرين.

وأحياناً يشعر الطفل بالحاجة إلي الانتماء بدرجة يتحوّل معها إلي العدوانية، فقد يحاول شقّ طريقه عنوة داخل الجماعة ليشاركهم أنشطتهم، وعندما تطلب منه الجماعة المشاركة في الأنشطة أو الأعمال المختلفة نجده يرفض هذه الدعوة رفضاً مبالغاً فيه، يتسم بالتحدي.

وقد تظهر حاجة الطفل إلي الشعور بالانتماء بصورة عميقة إذا همّ والداه بإرساله مثلاً إلي مدرسة داخلية؛ ليعيش فيها بعيداً عن المنزل لظرف من الظروف، أو إذا أُجبر علي أن يمكث في حجرته دون الخروج منها إذا ما جاء زوّار إلي المنزل، أو عندما يُطلب منه ترك

حجرته الخاصة أو فراشه الخاص ليستعمله الضيوف، أو إذا تُرك في المنزل وحيداً أو مع مربية وهو يعلم أن والديه ذهبا في نزهة، وكان يتمنى في قرارة نفسه لو صحبها معها كما يفعل باقي الآباء والأمهات مع أطفالهم. كل هذه التصرفات تزيد من شعور الطفل بالحاجة إلى الانتماء لأنه يحس بالنبذ والاعتراب مما يترتب عليه أسوأ النتائج.

● كيف نشبع حاجة الطفل إلى الانتماء؟

- ينبغي على الأسرة وهي تقوم بالتنشئة الاجتماعية ألا تُهمل الجانب الروحي في إطار التكامل الانتمائي لها، ولهذا الجانب عدة مبادئ يجب على الأسرة غرسها في أطفالها، منها:
- الإيمان المُطلق بالله سبحانه وتعالى الذي يرعي الكون من منطلق عدالته ورحمته، ويتدبر أمور الناس من صحة ورزق وسعادة.
- الإيمان بقيمة الإنسان وتقديره عن سائر الكائنات بما وهبه الله سبحانه وتعالى من عقل ورؤية وبصيرة ومشاعر وأحاسيس.
- أن تقوم الأسرة بإشباع حاجات أطفالها البيولوجية والنفسية والاجتماعية، وأن يسود الأسرة جو من الهدوء والسكينة والأمن والحب؛ لأن هذا يُساعد على شعور الأطفال بإشباع حاجاتهم إلى الانتماء.
- أن تقدّم الأسرة لأطفالنا المثل الأعلى والقوة الصالحة كنماذج سوية يُحتذى بها.
- يجب أن يشعر كل طفل بذاتيته، وبأنه جزء لا يتجزأ من قوام جماعته التي ينتمي إليها.
- أن يُشارك الطفل فيما يقوم به الآخرون من أنشطة أو أعمال، حسب قدراته وإمكاناته؛ لأن ذلك يُشعره بالسور والبهجة.
- لا بد أن يُشارك الأطفال في الحفلات والندوات والمعسكرات والرحلات؛ لأن هذا يجعلهم يحسون بأهميتهم ويمدّي انتمائهم إلى الجماعة.
- أن يُعوّد الأطفال على الإنتاج المادي والمعنوي انطلاقاً من أن الشخصية السوية هي الشخصية المنتجة.
- أن تتكاتف الأسرة والمدرسة وسائر المؤسسات والهيئات الأخرى المتواجدة في البيئة المحلية لشغل أوقات الفراغ بالنسبة للأطفال وخصوصاً في أثناء العطلات المدرسية.
- أن تنظم المدارس رحلات تتسم بصبغة تاريخية لزيارة الأماكن الأثرية والمتاحف والمعارض، بهدف ربط الأطفال بتاريخ بلادهم ومن ثمّ يتم تحقيق الانتماء التاريخي.
- الاهتمام بإحياء التراث والمحافظة عليه مع تطويره بما يتلاءم مع متطلبات الوقت الراهن.
- الاهتمام بتدريس اللغة العربية في المدارس؛ لأنها تُعتبر بمثابة الوعاء الذي يعترف منه أبناء الأمة وجودهم وبقاؤهم.
- المحافظة على مُعتقداتنا وقيمنا المُستمدّة أساساً من جوهر الأديان السماوية، حتى نظل شعباً متميزاً في ظل مغيرات القرن الحادي والعشرين الذي يتميّز بالتفتت أو التشتت فيما يُعرف باسم "العولمة".

الفصل الرابع

إشباع حاجة الطفل إلى التقدير



❶ دلالات الحاجة إلي "تقدير الذات":

نُشير في البداية إلي أن مفهوم "تقدير الذات" Self-Appraisal يعني تقييم الفرد لذاته، وأماله وتطلعاته المستقبلية، أو مكانته بين الآخرين. وتقدير الذات مُنظم مهم لسلوك الفرد، كما أنه يعتمد علي عدة عوامل، منها: علاقات الفرد بغيره من الناس، وصدقه مع نفسه، ونفده لذاته، وموقفه من نجاحه أو فشله.

ويرتبط تقدير الذات بشكل وثيق بمستوي التطلعات، أي بمدى صعوبة الأهداف التي رسمها الفرد لنفسه. وعندما لا تتطابق مطالب الشخص مع قدراته الفعلية يؤدي هذا إلي تقدير خاطئ للذات، وما يترتب عليه من سلوك غير مناسب يتسم بالإحباط والتوتر والقلق المتزايد... إلخ.

ويُفصح تقدير الذات عن نفسه موضوعياً في كيفية تقدير الفرد لإمكاناته تقديراً واقعياً، أو في تقديره لنتائج نشاط الآخرين، وما إذا كان سيفل من قدرهم في حالة تقديره لذاته تقديراً مُغالي فيه أو العكس.

❷ أهمية الحاجة إلي التقدير:

الحاجة إلي التقدير والاعتراف بأهمية الفرد، هي حاجة يحتاجها كل طفل منذ نعومة أظفاره، وتتجلي واضحة عندما يشعر الطفل بأنه موضع تقدير وقبول واعتراف من الآخرين؛ لأنهم يُعاملونه ك فردٍ له أهميته. والطفل في حاجة إلي أن يُمتدح عند تحقيقه لكل عمل أو نشاط يقوم به، ممّا يُكسبه الثقة في نفسه، والاعتزاز بشخصيته فيساعده هذا علي النجاح والتفوق. فلا شئ يدفع إلي النجاح سوي الإحساس بثمرته، فالطفل الذي يجد تقديراً وتشجيعاً، تزداد همته فيبذل جهداً كبيراً ليحافظ علي ما حققه من إنجازاتٍ ونجاحاتٍ. وتبدو هذه الحاجة واضحة لدي المراهق، حيث تشغل جانباً كبيراً من تفكيره إلي الحد الذي يجعله أحياناً - حين لا يجد ذلك التقدير الكافي في أسرته - ينخرط في جماعات أخرى يجد في إطارها الدور والمكانة اللتين يرتضيها لنفسه.

ونجد ذلك أيضاً عند البالغين، حيث يميل البالغ إلي أن يُثاب علي عملٍ أجاده، أو مشروع أنجزه، إثابة مادية أو معنوية، كما هو الحال في جوائز الدولة التشجيعية أو التقديرية، أو الحصول علي شهادات التقدير، أو نيل الأوسمة والنياشين والأنواط.. إلي غير ذلك من أوجه التقدير التي يحتاج إليها الفرد ويسعي إلي تحقيقها.

❸ كيف نكتشف حاجة الأطفال إلي التقدير؟

يمكن اكتشاف حاجة الأطفال إلي التقدير، من خلال ما نلاحظه من محبتهم لمن يُقدرونهم ويثنون عليهم، ومن خلال تنافسهم مع الآخرين، كي يحصلوا علي ذلك التقدير والثناء، سواء من الآباء أو الأقارب أو المُعلمين، أو حتى من أقرانهم ممن في مثل عُمرهم.

كما يمكن اكتشاف هذه الحاجة من خلال ما يبذلونه من جهدٍ ليحظوا بهذا التقدير؛ فيعملون ويجدون وينشطون في مجالاتٍ كثيرةٍ كتحصيل دروسهم بمثابرةٍ وتفانٍ، أو انخراطهم في أوجه النشاط المختلفة، وفي محافظتهم علي النظام.. كل هذا حتى يلفتوا الأنظار إليهم؛ فيحظون بالتقدير الاجتماعي المطلوب.

٥٠ التربية الأسرية.. وإشباع الحاجة إلي التقدير:

للأسرة دورٌ مهمٌ وحيويٌّ في اكتساب الطفل ثقته بنفسه في حدود ما يتوفر لديه من قدرات خاصة ومميزات شخصية. علي أنه يجب ألا تُبالغ الأسرة في تقدير قدرات أبنائها حتى لا تتقلب الثقة بالنفس إلي غرور يؤدي بالفرد إلي عدم إدراكه لقدراته الحقيقية، أو إلي غرور يؤدي إلي التعالى أو الترفع عن الآخرين؛ فيصبح مكروهاً من زملائه، منبوذاً من الناس.. هذا، وتُساعد جرعات الثقة بالنفس المعقولة والمتوازنة التي يتلقاها الفرد خلال تنشئته في الأسرة إلي رفع مستوي طموح وإلي الاجتهاد والمُثابرة في دراسته، فينعكس ذلك في عمله بعد تخرجه ونجاحه كشبابٍ في مستقبل حياته.

ونحن نُحذّر من اتجاهات بعض الآباء والأمهات التي توجه نحو تائب أبنائهم علي كل خطأ يرتكبونه، وإبراز نواحي قصورهم أمام زملائهم؛ فإن هذا يثبط همّتهم، ويجعلهم غير قادرين علي التفوق؛ فالطفل أو الشاب الذي يوصم دائماً بالفشل يتواري تدريجياً، ولا يستطيع أن يقف ليشارك في رأي أو يتحمّل مسؤولية؛ ولذلك فلا بد من توجيه سليم يحفظ لكل طفل أو شاب احترامه والاعتراف به.

وهو ما ينسحب بدوره علي المدرسة، فبقدر ما تعمل المدرسة علي إشباع هذه الحاجة لدي تلاميذها بقدر ما يتقدمون في الإنجاز، ويتقبلون توجيهات مُعلّمهم ويتبعون إرشاداتهم.

٥١ عامل المنافسة.. وإشباع الحاجة إلي التقدير:

يمكن استغلال التنافس كعامل منشط وكدافع للإنجاز، وقد أوضحت كثيرٌ من الدراسات أنه يمكن استغلال التنافس كعامل يدفع الأطفال إلي مزيدٍ من الانجاز في شتى المجالات. وإذا كنا نُحذّر من المبالغة في إثارة هذه المنافسة؛ لأن ذلك قد يؤدي إلي نتائج عكسية، مثل إثارة مشاعر الغيرة والحقد والقلق.. ولذلك ينبغي ونحن نقوم بتطبيق هذا العامل - سواء في البيت أو المدرسة أو النادي أو أية مؤسسة أخرى - أن نراعي هذه القواعد التربوية:

♦ أولاً: الاستخدام الغير واعٍ لهذا العامل قد يشيع بين أفراد الأسرة أو الجماعة جوّاً من الغيرة والحقد والبغضاء، ومن ثمّ يكون التنافس في هذه الحالة عاملاً مثبطاً، علاوة علي التوتّر الذي تنعكس آثاره علي كل الأنشطة؛ لذلك ينبغي أن ننقل إلي أطفالنا أنهم متفاوتون في القدرات والاستعدادات، وأن كلاً منهم يستطيع أن يُحقّق ويُنجز في بعض المجالات دون الأخرى، وأن المجال الذي يتفوق فيه فرد قد لا يتفوق فيه آخر. لذلك علي الأبناء أن يبذلوا كل جهودهم في الأداء، علي أن يتقبلوا النتائج بكل الرضا لأنّها تعكس مجهودهم وقدراتهم الحقيقية، ويمكنهم أن يقوموا بتحليل النتائج التي توصّلوا إليها بمساعدة الآباء أو المُعلّمين حتى يتعرفوا علي نواحي القوة ونواحي الضعف، فيعملوا علي تقوية نقاط الضعف، وتنمية نقاط القوة، وبذلك يكون جهودهم جهداً واعياً مستبصراً يؤدي إلي التقدّم في كل المجالات.

وعلي الآباء والمربين أن يُحافظوا علي سلامة العلاقات بين الأبناء، فلا نجعل أحداً منهم يشعر بالغيرة أو الحقد نحو مَنْ سبقوه، أو يشعر بالاستعلاء والتفاخر نحو مَنْ سبقهم، وأن يعملوا علي نقل روح الرياضة من الملعب إلي البيت أو المدرسة في تقبّل النصر أو الهزيمة، حتى يفهموا أن التنافس الصحيح إنّما هو عامل حفز وليس عامل هدم.

♦ثانياً: بعض الأطفال أو حتى الشباب يخشون مواقف التنافس لعوامل تربوية في تنشئتهم، وإذا اضطروا إلي ذلك انخفض مستوي أدانهم بصورة كبيرة، ووراها يتحاشون المواقف التي تتضمن تنافساً مُعلنأ، ويفضلون العمل بعيداً عن كل ما من شأنه أن يجعل هناك مقارنة بين أدانهم وأداء الآخرين، مع رغبتهم اللأشعورية الشديدة في التفوق وغلبة الأقران، وهؤلاء الأطفال أو الشباب غالباً ما يُعانون من عقدة النقص وإحساس دفين بالدونية. وخوفهم من التنافس يرجع لسابق خبراتهم الغير سارة في مثل هذه المواقف، ولأنهم تعرّضوا للمقارنة عندما كانت في غير صالحهم. وهم يحجمون عن الدخول في مواقف التنافس؛ لأن احتمال عدم الفوز فيها - وهم احتمال وارد في ظل الثقة المُفتقدة - يُذكرهم بالإذلال والمرارة السابقة. ولذلك، فإن هؤلاء الأطفال يُكونون مفهوماً غير دقيق وغير صحي للمنافسة، وعلي الآباء والمُعلّمين أن يقوموا بتصحيح هذه المفاهيم المُضللة، ويتم هذا التصحيح في إطار مساعدتهم علي بناء ثقتهم بأنفسهم.

♦ثالثاً: إذا كان البعض يخشي الدخول في مواقف التنافس، فإن البعض الآخر يتحمس لهذه المواقف علي أساس غير صحي. والرغبة في التنافس عند البعض قد تخفي وراءها شعوراً عدوانياً تجاه المتنافسين، ويُعدّ الفوز أو التفوق في هذه الحال إشباعاً للدوافع العدوانية لديهم، كما أن الهزيمة أو التخلّف تدفعهم إلي الرغبة في الانتقام والشعور بالمشاعر السلبية تجاه المنافسين المتفوقين. هؤلاء الأطفال أو الشباب أيضاً يُكونون مفهوماً غير صحيح للتنافس في ظل التربية الخاطئة؛ فكثير من الآباء يتخذون أبناءهم وسيلة لتحقيق مطامحهم التي فشلوا في تحقيقها بأنفسهم، ومن ثمّ يطالبون أبناءهم دائماً بمستويات عالية من الانجاز والتحصيل، ويدفعونهم إلي المنافسة الشرسة تحقيقاً للفوز وإحراز التفوق، مهما كان الثمن، مُجاهلين إمكانات الأبناء العقلية والجسمية وظروفهم المُحيطة بهم. ومنّ تُسعفه قدراته من الأبناء علي التفوق يُرحب بهذا التنافس باعتبار التفوق علي المنافسين الوسيلة المُحققة لمطالب الآباء الخاصة. أما منّ لم تُسعفه قدراته، فإنه يتعرّض لضغوط شديدة مُتعددة المصادر تؤدي به في كثير من الأحيان إلي المشكلات النفسية والسلوكية. إذأ، فالأبناء الذين يتخذون من مواقف التنافس وسيلة لتحقيق عدوانيتهم تجاه الآخرين، هم أبناء آباء يريدون لهم التفوق بأي ثمن، ولو علي حساب علاقات الأبناء بزملائهم.

وعلي المُعلّمين والمربين أن يفهموا الدوافع التي تُحرّك هذه الفئة، وأن يقوموا بتصحيح المفاهيم الخاطئة والغير صحيحة عن التنافس، وأن يُثيحو لهم أن يُخبروا معه أنواعاً أُخري من العلاقات البنائية قوامها التفاهم والعتاء المتبادل والود، وأن يجعلوهم يدركون أنهم باستطاعتهم - من خلال هذه العلاقات - تحقيق ما هو أكثر ممّا يمكن تحقيقه من خلال التنافس العدائي، وأن تحقيق الإنجاز ليس بالضرورة علي حساب العلاقات السوية مع الآخرين، وأن التعاون والعلاقات الودية لا تتعارض مع الحافز الفردي للنجاح والتفوق.. وبذلك يستقر لديهم المفهوم الصحيح للتنافس كعامل للبناء وليس للهدم.

الفصل الخامس

إشباع حاجة الطفل إلى
المشاركة واحترام الذات



٥٠ أهمية الحاجة إلي المشاركة واحترام الذات:

يحتاج الأبناء إلي أن يشعروا باحترام ذواتهم، وأنهم جديرون بالتقدير والاعتراف. وهم يسعون دائماً للحصول علي المكانة المرموقة التي تُعزز ذواتهم وتؤكد أهميتهم؛ لذلك فهم في حاجة إلي عمل الأشياء التي تبرز ذواتهم، وإلي استخدام قدراتهم وإمكاناتهم استخداماً بناءً. إن النمو السوي للذات وتنمية مفهوم صحي إيجابي لها، يحتاج إلي إشباع هذه الحاجة المهمة والمُلحّة.

٥١ بدايات ظهور الحاجة إلي المشاركة واحترام الذات:

الطفل منذ الشهر التاسع يقضي معظم أوقات يقظته في تلقي شتي ضروب التفهم لِمَا يفعله، وهنا يبدأ إحساسه بالحكم الواعي علي نفسه، وخصوصاً إذا وجد أن كثيراً من أعماله أو أفعله تلقي المدح والثناء. والجدير بالذكر أن الطفل عندما يبلغ شهره العاشر يبدأ في عملية الحبو، فإذا بلغ شهره الحادي عشر نراه يمشي بمُساعدة الغير، ثم يقف مستنداً علي الأثاث. أما عند بلوغه أربعة عشر شهراً، فإنه يستطيع أن يقف وحده، ثم بعد ذلك بشهر واحد تقريباً يستطيع المشي وحده، ولذلك عندما تحدث هذه التطورات الحركية للطفل، لا بد من أن ينال من والديه الثناء والتشجيع، والطفل يحتاج إلي ذلك لأننا نراه يُكرّر هذه الأنشطة مراراً وتكراراً، وكأنه يُطالب بالمدح والمكافأة. والطفل الذي ينال الاستحسان والتشجيع يبدأ في تكوين اتجاهات إيجابية نحو الإنجاز والتعلم، وبالتالي تزداد ثقته بنفسه، فيقرها ويحترمها.

وهناك بعد الأطفال الذين ينشون في جو أسري يُقابل ما يفعلونه بالإهمال وعدم الاكتراث، وبالتالي يتلاشي لديهم الدافع للإنجاز؛ لأن هذا الدافع يُحبط نتيجة عدم المشاركة أو المكافأة، وبذلك يمكننا القول بأنه لا شيء يقضي علي القدرة الابتكارية لدي الطفل سوي إهماله وعدم تشجيعه، ولا يُضعف من شخصيته ويقتل ثقته بنفسه قدر النشأة الأسرية السلبية التي لا تُمكنه من الاقتناع بقدراته وإمكاناته علي إتمام أعماله وتشجيعه عليها وامتداحها.

إن الأطفال الذين يُربون تربية صحيحة بفضل العلاقات الصحية بينهم وبين والديهم، فهم حينما يحتاجون التعزيز يجدونه، فإن نموهم - بلا شك - يسير في اتجاه السواء. أما هؤلاء الأطفال الذين يواجهون دائماً مواقف الفشل والتثبيط واليأس، فهم معرضون لفقدان الشعور باحترام الذات وقيمتها، وعدم الرضا علي ما يبذلونه من جهود، ممّا يؤثر بالسلب علي صحتهم النفسية.

٥٢ كيف نكتشف حاجة الأطفال إلي المشاركة واحترام الذات؟

المتأمل للواقع يُدهشه أن يكتشف كمّ الضغوط التي تُفرض علي أبنائنا صغاراً أم كباراً، تلك الضغوط التي تُفسرها تكرار كلمات، مثل: "لا تفعل".."لا تتصرف" تكراراً ألياً مملأ!! عندها يشعر الأبناء بفقدانهم الحرية؛ لأنهم يُصنّبون في قوالب جامدة مُعدّة لهم سلفاً؛ إنهم يجبرون علي التصرف بشكلٍ مُعيّن، فالآباء أو المربون هم الذين يحدّدون لهم ما يجب أن يفعلوه، وما لا يجب أن يفعلوه علي وجه الدقة والتحديد؛ وبالتالي يحسون أن حياتهم تسير كمّا ينبغي لها الكبار، لا كمّا يرغبون هم؛ فيفقدون احترامهم لذواتهم.

والأطفال الصغار- كالكبار البالغين - تحدهم الرغبة الأكيدة في أن تتم مشاركتهم فيما يُخطط لهم، وقد يتمسكون بأداء أعمال مُعيّنة يقومون هم بتخطيطها وإعدادها لا الكبار البالغون.. وهذا يُفسّر تمرّدهم أو عصيانهم لوالديهم أو لإخوتهم أو لمُعلميهم أو حتى لأصدقائهم، إنَّها الرغبة في أن يكون لهم صوت مسموع.

ويلاحظ علي الطفل الذي يرغب في المشاركة وكأنه متوقع، منغزل عن الآخرين. وهو لا يسمح لنفسه أن يُقصي عن مهامه أو أعماله التي يقوم بها لكي يأخذ غيره مكانه. وقد نجده يلعب مع أطفال أصغر منه سناً. وبعض الأطفال إذا ما رفضتهم الجماعة، فقد ينسحبون ويتصرفون وكأنهم لا يهتمون بالأنشطة، أو لا يُبالون بأفرادها. أمّا البعض الآخر، فإن انسحابهم يصحبه بكاءً وويلٌ حدّ التشنج. وهناك أطفال من نوع ثالث لا ينسحبون من الجماعة بسهولة، فهم يُقاومون هذا الرفض من جانبها بكل ما أوتوا من قوّة، وبكل ما لديهم من وسائل.

والطفل الذي يحتاج إلي المشاركة واحترم الذات قد يُقاطع الآخرين وهم يتحدّثون، خاصّة إذا لم يُطلب إليه أن يتحدّث. هذا النوع من الأطفال يفرض زعامته أو سلطته علي الجماعة، كما يُريد أن ينفرد بالرأي ويستأثر به وحده، وعادة لا يُطيع الأوامر والتعليمات.

هذا.. ويخطئ كثيرٌ من الآباء والمربين إذا حاولوا الانتقاص من اعتزاز الطفل أو الناشئ بشخصيته، ولذلك نحن ننبه إلي ضرورة الابتعاد عن مثل هذه العبارات التي تنتقص من مشاعرهم وتجعلهم يفقدون الاعتزاز بذاتيتهم، مثل: "أنت لا تعرف شيئاً؛ لأنك مازلت صغيراً.." "أنت ليس لديك أي إدراك.." "كل الذي تفعله خطأ.. إليك الطريقة الصحيحة.." "يمكنك أن تتسحب.." "دعنا نعمل لك ذلك.." "أنت طفلٌ غبيّ يعوزك الكثير!!"

إننا إذا أجبرنا الطفل علي مزاولة الأنشطة التي خَطَّطها له الكبار دون علمه أو إشراكه، أو عندما نحرمه من التعبير عن آرائه، أو لا نتيح له الفرص الكافية لإصلاح أخطائه التي قد يقع فيها، أو لا نسمح للطفل الخجول بالمشاركة في الأنشطة الجماعية؛ فإننا نحرم مثل هؤلاء الأطفال من امتيازاتهم، ونزيد من حاجتهم إلي المشاركة واحترامهم لذواتهم.

لقد أثبتت الدراسات التربوية والنفسية أن الطفل الذي يحتاج إلي المشاركة واحترام الذات، دانماً ما يشعر بأن هناك مؤامرات تُحاك ضده، ومن ثمّ تنمو لديه عقدة الاضطهاد، أو أن أفكاره وآرائه ليست ذات قيمة، وبالتالي يحس بأنه لا فائدة تُرجي منه شخصياً، عندها تسوء صحته النفسية وتدهور.

❶ كيف نشبع حاجة الأطفال إلي المشاركة واحترام الذات؟

■ أن يُشارك الأبناء كل من الآباء والمربين حال تقويم أعمالهم وأنشطتهم، وأن يصغوا إليهم بكل الإنصات والاهتمام، وأن يُظهروا لهم إعجابهم أو موافقتهم إذا كانت أعمالهم جيدة، أمّا إذا كانت لديهم ملاحظات أو مأخذ، فعليهم أن يذكروا أسبابها حتى لا يشعر الأبناء بالإحباط أو اليأس.

■ أن يُشجع الآباء والأمهات أبناءهم علي تحمّل المسؤولية منذ صغورهم، وهذا يستلزم أن تكون هذه المسؤوليات المُلقاة علي عاتقهم متناسب وأعمارهم الزمنية والعقلية، وتتفق مع ميولهم وتطلّعاتهم، وأن تتسم بالتدرّج، وخاضعة لإشراف الأبوين إشرافاً دقيقاً، وتربوياً في

- الوقت نفسه، علي أن يُمنح الأبناء الثناء والمديح متى نجحوا في أداء مهامهم، وأن يُشجعوا
ببث الثقة في نفوسهم من جديد متى أخفقوا.
- أن يُشارك الأبناء في تخطيط ما يقومون به من أعمال بجانب آبائهم أو مُعلّميهم.
 - السماح لجميع الأبناء بالحديث عن آرائهم أو وجهات نظرهم حال اتخاذ أي قرار يهم
الجماعة؛ لأنها طريقة تتم عن إظهار الاحترام للجميع دون استثناء.
 - الابتعاد عن كل ما يجعل الأبناء يحسون بأننا لا نثق بهم، كأن تتم مراجعتهم باستمرار
فيما يفعلونه من استنكار أو أنشطة، كما ينبغي الابتعاد عن كل الأساليب التي تُقلل من
شأنهم، وتُفقدهم احترامهم لأنفسهم أو ذواتهم.

الفصل السادس

إشباع حاجة الطفل إلى الانجاز



❶ كيف يتكوّن الدافع إلى الإنجاز؟

دافع الإنجاز يعني حاجة الشخص إلى بلوغ النجاح في أنماط النشاط المختلفة، خاصة التنافس مع الآخرين. وقد بدأت الدراسات المتعلقة بدافع الإنجاز على يد مجموعة من الباحثين الأمريكيين برئاسة "دافيد ماكلياند". ويتشكّل دافع الإنجاز طبقاً لـ "ماكلياند" من خلال تربية الطفل داخل الأسرة تحت تأثير والديه، بحيث تأتي الأم في المقام الأول، ويتألف الأساس الذي يبنى عليه دافع الإنجاز من التداخيات المشوبة بالعاطفة والتي تربط خبرة الطفل العاطفية بأشكال سلوكه. فإذا امتدح الوالدان الطفل في سنوات طفولته الأولى لنجاحاته، وعاقباه لإخفاقاته، فإنه يكوّن مع بلوغه الخامسة أو السادسة دافع الإنجاز والذي يتحوّل فيما بعد إلى حاجة ثابتة، ويتكشف من خلال الأنماط المختلفة للنشاط الذي يقوم به الطفل.

❷ بدايات ظهور حاجة الطفل إلى الإنجاز:

تظهر حاجة الطفل إلى الإنجاز من خلال ميله إلى التعبير عن نفسه، والإفصاح عن شخصيته في مناسطه المختلفة، وكل ما يشترك فيه ويقدمه من خدمات للآخرين حسب قدراته وإمكاناته، كما تتضح من خلال رغبة الطفل في أن تنمو مهاراته إلى الحد الذي تسمح له بالسيطرة على جوانب بيئته، وأن ينجح في أدائه أعماله و مناسطه التي يكلف بها، بحيث يري نتيجة أعماله ماثلة أمامه وبادية للعيان. ويرى "إبراهام مازلو" أن كل فرد يستطيع عمل أي شئ بما لديه من استعدادات وقدرات وإمكانات، وذلك من خلال توظيفها توظيفاً جيداً.

وتبدأ هذه الحاجة في الظهور خلال السنتين الأوليين، حيث يحاول الطفل جاهداً أن يقف ويمشي، وفي بنائه المتأني للأبراج والمنازل من خلال المكعبات الخشبية، ومن إصراره على أن يقوم بتغذية نفسه.

كما تظهر الحاجة إلى الإنجاز لدى الأطفال في سن المدرسة الابتدائية (من سن ست سنوات إلى اثنتي عشرة سنة) من خلال إتقان المهارات الحركية والعقلية، وتعلّم كيفية التفاعل بنجاح مع الآخرين.

ومن خلال الإنجاز يشعر الطفل بنفسه كشخص مستقل له أهدافه الخاصة، وأنه يستطيع التأثير على البيئة المحيطة به، إنه يبدأ في أن يكون شخصاً له قيمته، خاصة عندما يقدره أبواه ويمتدحانه ويُسجعانه.

ويشبع هذه الحاجة إمداد الطفل باللعب والأدوات التي يستطيع أن يعمل منها شيئاً مفيداً يتناسب مع قدراته وإمكاناته، وكذلك بخلق بيئة ثرية بمواقفها ومثيراتها بحيث تتاح للطفل فرص العمل، والإنتاج، والابتكار، والإبداع. وبذلك يستطيع الطفل أن يُحقّق ذاته ويؤكدّها من خلال العمل والإنجاز.

❸ كيف نكتشف حاجة الطفل إلى الإنجاز؟

الطفل الذي تظهر لديه الحاجة إلى الإنجاز هو طفلٌ يرغب في عمل شئ ما، أو أنّه يعمل بطريقة أكثر، وقد يُبدي اعتذاره عمّا أخفق فيه من أعمال، كأن يقول لوالديه: "كان باستطاعتي أن أكمل هذه الصورة لو أن لديّ ألواناً جيدة". وقد يُظهر نوعاً من الاحتجاجات

اللفظية المقترنة ببعض الضيق، كأن يقول: "لم تعطني المعلّمة الفرصة الكافية لإتمام ما كنت أقوم به من عمل علي خير وجه".

وهو كثيراً ما يُظهر للأباء والمربين بطرق مختلفة ما يدل علي أن الآخرين لا يُعاملونه معاملة تتسم بالتقدير أو الإيثار، فهو يقول مثلاً: "لا أحد يهتم بما أقوم به من أعمال".
والطفل الذي يحتاج إلي إشباع شعوره بالإنجاز قد يعتقد أن الآخرين أكثر منه مهارةً أو تفوقاً. ولذلك.. فهو يتمني لو يعمل مثلهم، وهو يرغب في إنجاز أعماله وأنشطته ببعض المساعدة من الآخرين. كما يتباهي بنجاح بعض أفراد أسرته، ومع ذلك فهو قد يُسفه إنجازات الآخرين. ونراه يطلب من والديه أو معلّميه المزيد من المديح والتثناء لأعماله، وقد يُفصح عن عدم رضاه لمعظم إنجازاته الخاصّة، فهو يقول: "أودّ أن أعرف كيف أستذكر دروسي بشكل أفضل".

كما أن الطفل الذي يشعر بالحاجة إلي الإنجاز قد يفعل أشياء تدل علي اضطرابه العاطفي، فهو يبتعد عن كل نشاط يمكن أن يؤدي إلي التشكك في قدراته، ومن ثمّ فهو يتجنّب مواقف التنافس، وقد يغش في الامتحانات، أو ينقل عن غيره الواجبات المدرسية، ونراه يُصاحب الأطفال الأصغر منه سناً حتى يمكنه التفوق عليهم.

وهو طفلٌ قد يُظهر نقصاً ملحوظاً في الطموح، فأرادته للتعلّم قد تكون قليلة، كما أنّه طفل يتسم بالتردّد والكسل واللامبالاة. ومن جهةٍ أخرى، فهو يقضي وقتاً طويلاً يحاول عمل أشياء خارج حدود قدراته، وقد تظهر عليه بعض الاتجاهات العدوانية تجاه الآخرين، أو تجاه الأشياء فيخربها أو يدمرها.

والآباء والأمهات - غالباً - ما يكون لديهم دورٌ بارزٌ في إحساس الأطفال بنقص الحاجة إلي الإنجاز، فهم يُقارنون بينه وبين الآخرين، كأن يقولون له: "لماذا لا تحصل علي درجات عالية كما يحصل عليها صديقك ناجح؟!". أو: "هل ينقصك شيء لتتفوق مثل أخيك؟!". وهذا الطفل قد يواجه دائماً تعليقات ساخرة، كأن يُقال له علي سبيل المثال: "أنت لا تتم أعمالك بشكل جيد أبداً". "لماذا لا تعتمد علي نفسك؟!". ويُساهم الوالدان والمعلّمون علي السواء - بطرق مختلفة - في تعاسة مثل هذا الطفل الذي يحتاج إلي الشعور بالإنجاز، مثل تكديره، أو إحباطه ممّا يساعد علي زيادة عدم أمانه العاطفي.

❶ أهمية شعور الطفل بالإنجاز:

الحاجة إلي الإنجاز تتكوّن من خلال العلاقة المبكرة بين الوليد وأمه؛ فالطفل الذي يلقي قدراً كبيراً من القبول والتقدير والمدح - منذ الشهور الأولى من عُمره - يشعر بالأمان الداخلي.

وحقيقة الأمر، أن الأطفال يحتاجون إلي الشعور بالإنجاز طيلة حياتهم، لأن إحباط هذه الحاجة يُساعد علي اضطراب السلوك لدي الطفل، فشعور الطفل بقيمته هو الذي يجعله يتق بنفسه، ويدفعه لإثبات ذاته بكل الطرق البسيطة أو الصعبة علي حدّ سواء.

والطفل الذي لديه حاجة غير مُشبعة للإنجاز هو طفلٌ يشعر بعدم الكفاءة والنقص، فيفقد همّته؛ لأنّه يشعر بأنّه لا فائدة تُرجي منه، ومع حرمانه من التقدير والتشجيع فقد تتكوّن لديه

مشاعر الكراهية، والحقد، والحسد، فيكتسي سلوكه - لا محالة - بطابع العدوانية، أو قد ينطوي حزيناً خاضعاً، تاركاً نفسه تتقاذفه أمواج الحياة وأنواؤها؛ لأنه يشعر بأن أحداً لا يهتم به أو يكثر له.

● كيف يمكن إشباع حاجة الطفل إلى الإنجاز؟

- علي الآباء والمربين ألا يتركوا الطفل يواجه الإحباط المتكرر، وذلك بالأ كلفوه بمستويات أعلى من قدراته وإمكاناته، بل يمكنهم أن يختاروا له مستويات تناسب إمكاناته الحقيقية، كذلك انتقاء مهام جديدة والتخطيط لخبرات يمكن أن يكتسبها بنجاح.
- أن يستمع الآباء والمربون إلى تبريرات الطفل باهتمام، حين يهم بإبداء الأعدار لسوء أدائه، حتى يستطيعوا أن يرتبوا الأنشطة التي تمكنه من الإحساس القوي بالإنجاز.
- التعرف علي ميول الطفل ورغباته، فإذا أراد الطفل أن يتعلم أنشطة معينة، فيجب علي الآباء والمعلمين أن يتعرفوا علي هذه الأنشطة، وأن يُساعدوه في اكتساب الخبرات التي تُساعده علي النجاح، ومن ثم إحساسه بالإنجاز، وأن يُعاونوه أيضاً في التغلب علي العقبات التي يمكن أن تواجهه.
- يجب أن تتنوع المُثيرات في المدرسة، فإذا كانت المدرسة هي مجرد مكان لتعلم القراءة والكتابة ومبادئ الحساب.. الخ، فإن الطفل لن يتمكن من الكشف عن مواهبه المخبوءة، لذلك لا بد أن تتاح للطفل وسائط مُعدّة للأنشطة.
- أن يُطلب من الطفل مساعدة الآخرين في أعمالهم، فالطفل يستطيع أن يتعلم كثيراً من أقرانه أو أصدقائه، فكثيرون منهم يحصلون علي الإحساس بالإنجاز عندما يطلب منهم مساعدة شخص آخر، وهذا ينطبق أيضاً علي مساعدة الطفل لوالديه أو مُعلميه.
- يجب علي الآباء والمربين أن يجعلوا الطفل يُدرك أن الفشل في حد ذاته مظهر من مظاهر التعلم وليس نهاية المطاف، وأن الخطأ نفسه - غالباً - لا يتكرر مرةً أخرى، عندئذ يتعلم الطفل أن الآباء والمربين إنما هم أناس ينظرون إلي النجاح بمنظار واقعي، وأن يُدرك أيضاً أن الأخطاء التي تُرتكب اليوم هي مكسب لأنها تقيه مغبة الوقوع فيها مستقبلاً، وبذلك يتكوّن لديه إحساس قوي بالإنجاز، وتفهم أكثر واقعية لماهية الفشل.
- يجب أن نفهم خصائص كل طفل، وكذلك قدراته واستعداداته، فنحن نجد أن بعض الأطفال لديهم استعداد قوي للقراءة، بينما البعض الآخر ليس كذلك.. وهكذا. وعلي ذلك فلا بد من أن تكون الأعمال والواجبات - المطلوب من الطفل أدائها - في مستوي قدراته وتتفق مع ميوله واستعداداته.
- أن تتاح للطفل الفرصة لإظهار انجازاته، فإذا أردنا إعطاء الطفل إحساساً عالياً بالإنجاز، علينا من وقتٍ لآخر أن نتيح له فرصة لتلخيص أعماله التي قام بها، أو نطلب منه أن يذكر ما اكتسبه من أنشطة في فترة مُعينة.. وهكذا.
- أن يتم امتداح الطفل بكل الصدق والأمانة، إذ لا يجب أن يُمدح علي أشياء لا تستحق المدح.
- تجنّب مقارنة الطفل بغيره من الأطفال، فمن المؤكّد أنه لا يوجد معيار واحد لأداء جميع الأطفال، بحيث نتوقع منه نفس نوع الأداء أو العائد.

- عدم إشعار الطفل بالنقص، كان نصفه بأنه لا يُجيد عمل شيء مُعَيَّن، أو لا ينجز أعماله على النحو المطلوب، علي أنه إذا كانت تواجه الطفل مشكلات بعينها فالأجدى أو الأفيد أن نُحاول علاجها وتلافيها.
- يجب ألا يضع الآباء والمربون واجبات أو أعمالاً تستنزف كل طاقات الطفل، كما يجب البُعد عن انتقاده أمام الآخرين، وعدم مهاجمته إذا أخطأ أو أخفق.
- يجب تشجيع اهتمامات الطفل وتنمية هواياته، ولذلك يجدر بالآباء والمربين ألا يُجبروا الطفل علي أن يفعل ما يفعله الأطفال الآخرون.
- يجب علي الآباء والمربين عدم تكليف الطفل بمهام قد تبدو غامضة لا يستطيع تنفيذها، كما يجب عدم خلق مواقف تجعله يُحس بعدم الأمان وفقدان الثقة.

الفصل السابع

إشباع حاجة الطفل إلى الفهم



❶ ماذا تعني حاجة الطفل إلي الفهم؟

لعب الطفل الميكر، وتناوله لكل ما حوله، وما يقع تحت بصره ويده، وبحثه هنا وهناك.. إلخ، ليس إلا إشباعاً لحاجته المُلِحَّة للفهم، وليس إلا رغبة في اكتساب المعارف والمهارات الأساسية في حياته.

والطفل يكتسب معلوماته، وتنمو معارفه عن طريق خبراته التي يُمارسها بنفسه نتيجة استعمال عضلاته، أو عن طريق حواسه المختلفة، أو عن طريق التساؤل والاستفسار عمّا لا يعرفه، مستخدماً في ذلك كل ما يُتاح حوله من كتب، ومجلات، وبرامج تلفزيونية.. إلخ. إنّه يقرأ، ويسمع، ويعمل، ويُمارس، ويعيبث، ويتأمل.. وصولاً إلي المعرفة.

❷ كيف نكتشف نقص حاجة الطفل إلي الفهم؟

إن بعض الأطفال يُحيرهم هذا العالم، إنهم لا يستطيعون تفسير ما فيه تفسيراً معقولاً، ونحن عندما نشعر بالحيرة، وعندما لا نستطيع فهم ما يحدث حولنا، فإن الأرض من حولنا تبدأ في الاهتزاز، إننا نعتقد أن الآخرين الكبار والصغار في حالة طيبة، ولكننا نحن لسنا كذلك، إننا نعتقد أن ثمة أشياء يجب علينا أن نعرفها؛ لأن معرفتنا بها تُعطينا ثقة في أنفسنا ولكننا لا نعلمها، وبالتالي يضعف إيماننا بأنفسنا.

إن هناك أطفالاً بهذه الحالة، لا يعرفون الأسئلة التي يجب أن يسألوها، وأحياناً آخري يسألون ولكنهم لا يحصلون علي إجابات تُشبع حاجتهم للمعرفة والفهم. إن أسئلتهم في بعض الأحيان تكون مباشرة بشكل مُزعج، وتختص بمسائل شديدة التعارض في الطبيعة، فإذا تم إهمالها في المدرسة، وإذا كانت الإجابات المُقدّمة تؤدي إلي مزيد من الارتباك، وإذا ظن الطفل أنّه لا يفهم ما يجري حوله فإنّه قد يُصاب باضطراب عاطفي.

ولننظر الآن إلي بعض الأعراض التي قد تظهر علي هذا النوع من الأطفال:

■ في دأب شديد يُلقي الطفل أسئلة حول موضوعات متنوعة، مُطالباً بالإجابة الفورية عليها، وهو يتحري لاستكشاف الأشياء والمواقف. والغريب في الأمر أنّه عندما يحصل علي إجابات من والديه أو مُعلميه، فإنّه يشك في صحتها!! ومن بين تلك الموضوعات التي تتمحور في شكل أسئلة، والتي يطرحها علي الكبار: لماذا تنشب الحروب، وتنتشر النزعات بهذه الكثرة في الوقت الذي يقول فيه الجميع أنّهم يبغون السلام!! أو يُريد أن يعرف: لماذا نقول دائماً أن الجميع متساوون في حين يمتلك البعض أموالاً طائلة بينما غيرهم لا يمتلكون إلا أقل القليل!! وهو يود لو أن أحداً ساعده في معرفة الفرق بين الصواب والخطأ. وهو كذلك يسأل بسداجة عن شكل الله سبحانه وتعالى!! وهو يتوق كثيراً لكي يعرف علي وجه التحديد كيف جاء أخوه الصغير إلي هذه الدنيا!!

■ وكثيراً ما يكشف مثل هذا الطفل عن عدم رضائه وفهمه للأشياء والمواقف كمّا يقوم الكبار بتفسيرها، ولذا فهو يقول: "هم يحاولون إخفاء هذا الشئ عني"، أو قد يسأل: "لماذا يظلمون مني في البيت السكوت كلّمَا سألت ما الفرق بيني وبين أختي؟"، وربما يقول هذا الطفل: "دعوني أبحث بنفسي عن حقيقة هذا الأمر". وهذا الطفل أيضاً يود لو أحد ساعده

علي أن يبيت في الأمر عندما لا يكون واثقاً. إنّه يود لو يكف الآخرون عن إثارة الارتباك في نفسه حول ما يعتقد ويؤمن به.

وغالبا ما يُعبر هذا الطفل عن رغبته في معرفة المزيد من المعلومات، فنري الطفل يسأل: "أريد أن أعرف كيف أحب وطني حبا شديداً، وفي الوقت نفسه علي أن أحب الناس في البلاد الأخرى أيضاً؟". وهو يُريد كذلك لو أن والديه ساعده أكثر علي فهم نفسه.

■ وكثيراً ما يتخذ الطفل المحتاج للفهم عبء مسؤولية الحصول علي المعلومات علي عاتقه وحده. إنّه قد يغفل آراء الآخرين دون سؤال، وقد يقرأ باستمرار وفي نهم شديد، وقد يكون مُتمكناً في قراءاته عن الطيور، أو الحيوانات، والأسماك، والنباتات، وقد يجمع أكبر قدر من العملات، وطوابع البريد، والطائرات، والعربات، والمجسمات، والمكعبات.. إلخ.

وهذا الطفل قد يصبح عدوانياً في بحثه عن المعلومات، إنّه يسأل كثيراً: لماذا؟، وكيف؟، ومتى؟، وأين؟. وقد يتشكك دائماً في السلطة، وقد يكون غير متسامح ومتحامل، ومثل هذا الطفل أيضاً يعمل في دأب علي فك الأشياء أو اللعب الآلية إلي أجزائها الصغيرة. وكثيراً ما نري مثل الطفل يتخذ عادات في عمله ناضجة تماماً، وقد يكون ذا مقدرة فائقة علي التمييز، وهو يقرأ كتباً أعلى من مستوي سنه في مختلف الموضوعات، وقد يتردد كثيراً علي المكتبات بغرض القراءة، أو الاستعارة.

■ وعادة ما يوحي الوالدان لمثل هذا الطفل بأنّه سيفهم فيما بعد، وإن المُعلّمين سوف يُفسّرون له الأشياء التي تُثير حيرته، ولكن - بكل أسف - فإن هذه التفسيرات لا تأتي أبداً!! ويستمر النهج علي هذه الرتبة. وغالباً ما نجد بعض الآباء أو المُعلّمين يقولون لمثل هذا الطفل: "سوف تعرف الإجابة علي سؤالك هذا عندما تكبر"، أو: "لقد قمت بشرح هذا أكثر من ثلاث مرّات قبل ذلك"، وكذلك: "ياولد لا تسأل مثل هذا السؤال عن الخالق عز وجل"، وهناك إجابة قد يظن الكبار أنّها تردع الطفل وتؤدبه، كأن يقولوا له: "لا داعي لهذا السؤال فإنّه يدل علي سوء أدب، وقلة تربية.. أنت صغير وتسال هذه الأسئلة، فعندما تكبر وتخرج من البيضة ماذا سوف تسأل إذا، أنتم جيل غريب!!".

وعندما يواجه الطفل التائب، والتحقير، والاستخفاف باستمرار بتعليقات مثل: "حاتم.. أصبح دمك ثقيل، إنك تُكثر من الأسئلة، في المهم وغير المهم، لماذا لا تهدي يا "سقراط" عصرك وأوانك؟" فماذا يكون شعور وأحاسيس هذا الطفل الصغير، لماذا لم نُجب علي أسئلته؟ هل هناك ما يمنع ذلك حقاً؟ أم ماذا؟!!

إن هذا الطفل المسكين يشعر حقاً بالارتباك والحيرة، هناك الكثير ممّا يود معرفته، وإن الآباء والمُعلّمين لا يجيبون علي أسئلته إجابة شافية، ما يقوله الطفل كرد فعل يدعو للانزعاج حقاً، إنّه يقول: "هؤلاء الكبار أغبياء، والمدرسة غبية لا تُثير اهتمامنا!!"

يشعر الطفل إذا بالإحباط وخيبة الأمل فيمّن حوله؛ لأنهم لا يريدون مساعدته، ويظن أنّهم يتعمدون إرباكه، وكثيراً ما يشعر بأن الآباء والمُعلّمين لا يقولون الحقيقة، وبالتالي يخشي إلقاء الأسئلة تحاشياً لتأنيبه والسخرية منه، إنّه يستنكر الكبار الذين يقولون له دائماً أنّه ما زال صغيراً علي الفهم. وعادة ما يشعر أن هذا العالم هو عالم الكبار الراشدين، ولكنه لا يفهم السبب في ذلك!! إنّه يشعر أيضاً بالحيرة بالفروق الكبيرة بين ما يقوله الكبار وبين ما يفعلونه، والده يقول له: لا تكذب، ثم يقول له لو طرق (فلان) الباب وسأل علي قل له أنا

غير موجود!!والوالدته تقول له: لا تسرق، ثم يراها تضع يدها في جيب بنطلون زوجها وتأخذ بعض النقود!!

الطفل الذي نريد أن نسبر أغواره، ونعرف الكثير عن عالمه مترامي الأطراف: يزداد فضوله - كثيراً - عندما يجد تهرباً من الإجابة علي أسئلته، ويشعر بسعادة بالغة، وارتياح عظيم عندما يحصل علي إجابات شافية علي جميع أسئلته.. هذه هي الحقيقة المؤكدة.

⑤ كيف نفهم حاجة الطفل إلي الفهم؟

إن الأطفال في دور النمو يبدو أنهم متشبعين بفكرة أن هناك إجابات مناسبة لكل ما يطرحونه من أسئلة، إن هؤلاء الأطفال في سنواتهم الأولى يسألون ويعيدون الأسئلة. إن كل طفل يبدو وكأنه يريد أن يجعل حياته ذات معني، وذات غرض يمكن التفاعل معها وفهمها، إنه يريد أن يُضفي علي العالم نوعاً من النظام، إنه يريد أن يري نفسه في علاقة هادفة مع العالم الذي يعيش فيه، وعندما يكبر يجد نفسه في قطاعات في العالم تبدو غير مترابطة، إنه يذهب إلي السينما، ويسمع إلي الإذاعة، ويقرأ الصحف والمجلات، ويشاهد التلفزيون، ويسمع إلي مُعلميه وأصدقائه وأفراد أسرته وأقربائه، ويذهب إلي المسجد أو الكنيسة، إنه يتعلم بعض الأشياء عن المرض، و الموت، والحوادث، والحرب، والزواج، والطلاق، والحج، والأعياد.. الخ، كما يلتقط أفكاراً عن العنصرية، والطبقات الاجتماعية، والحكومة، والحرية، والجمال، والحكمة.. وغيرها. وعندما يكبر أكثر يحاول أن يستخلص معني لكل ذلك.. إنه يطرح مئات الأسئلة ويبحث دائماً عن طريقة ما لاحتوائها كلها.

ومن الغريب أن هذه التساؤلات من جانب الأطفال يبدو أنها تتراجع في المواقف المدرسية، وهناك بعض الأدلة علي أن مُعلمي الصف السادس الابتدائي يسألون أسئلة أكثر ممّا يسألها الأطفال، كما أن هناك دليلاً علي أن أطفال الصف الأول الابتدائي يسألون أسئلة أكثر من أطفال الصف السادس. ومن الواضح أن الطفل يسأل الأسئلة عندما يسمح بذلك الموقف، إن الطفل يبتدع الفرص عندما يضمن أن له الحرية في الكلام، وعندما يشعر بأنه تائه في هذا العالم، وعندما يشعر أنه لا يفهم مكانه في هذا العالم، وعندما تُلقى أسئلته جانباً دون اهتمام أو اكرتات بها. إن أسئلته هي الأهم بالنسبة له، ولمساعدته في أن يصبح شخصاً أكثر تكاملاً فإنه من الضروري جداً أن نُساعده علي فهم بعض مشاكله الخاصة وعلاقته بها، إن إدراك الذات في غاية الأهمية.

وبعبارة أخرى فإن منهج مدارسنا يجب أن يأخذ في الاعتبار تلك المسائل ذات الأهمية بالنسبة للطفل. إن كل طفل يبحث عن التوجيه لنفسه، ومهمتنا أن نُساعده علي اكتشاف الطريق حتى يستطيع تشكيل أغراضه الخاصة تشكيلاً ذكياً عندما يتمكّن من فهم هذا العالم.

⑥ كيف يمكننا الوفاء بأشباع حاجة الطفل إلي الفهم؟

■ ربما يكون من المهم أن يُهيئ الآباء والمربين للأطفال جواً من التسامح، ونقصد بالتسامح أن يحاولوا خلق مواقف يشعر فيها الأطفال بالحرية في إلقاء الأسئلة وتبادل الأفكار، ويكون هذا التسامح محكوماً بالأغراض التي يسعى الأطفال لمعرفةتها. وعندما تبرز أهمامات

الأطفال الخاصة وأسئلتهم، وعندما يُعبرون عن جهلهم بالمؤسسات الاجتماعية من حولهم، والمشكلات التي تواجههم، فيجب أن يُدرك الآباء والمربون علي الفور أن ذلك ما هو إلا علامة علي حاجتهم إلي الفهم.

وإذا لم يكن الآباء والمربون حذرين ومتسامحين مع أطفالهم فإنهم سيكتبون هذه العلامات، ثم يظنون أن أطفالهم ليست لديهم أية مشكلة، وهذه ليست حقيقة علي الإطلاق، لأن أطفالهم يحتاجون إلي كثير من الإجابات والاستفسارات التي تم كبتها، وهذا الكبت - بالطبع - لا يعني زوالها.

■ في استطاعة الآباء والمربين أن يبذلوا اهتماماً خاصاً بالعرض الذي يسعى الأطفال إلي معرفته بطريقة مستترة، وربما يكون هذا التستر هو أكثر الطرق فاعلية، وعندما يعمل الأطفال في مشروعات جماعية أو شخصية يستطيع الآباء والمربون أن يُثيروا معهم التساؤل عما ياملون في تحقيقه، وعن السبب في أهميته، وعندما يتكرر ذلك، وتتشكّل أغراض الأطفال وتصبح موضوعاً للفحص والتحليل فإن الأطفال يبدؤون في إدراك أن آباءهم ومربيهم يظنون أن أغراضهم مهمة.

وفي بعض الأحيان قد يطراً سؤال عن موضوع يبدو غير لائق، وفي مثل هذه الظروف يمكن للمُعَلِّمين التوصل إلي وسائل لاستخدام جزء من السبورة لكتابة الأشياء التي سوف تُناقش فيما بعد. وفي مناسبات أخرى يقول الآباء أو المُعلِّمون للأطفال الذين يتعرَّضون لمشكلات كبرى: "هل يمكن لنا، أنا وأنت أن نتكلم عن ذلك فيما بعد..؟" وفي بعض الأحيان يقولون بصراحة وصدق أنهم لا يستطيعون المساعدة في هذا السؤال ويقترحون أن يكون مشروعاً يطلبون فيه مشورة خارجية.

يستطيع الآباء والمربون أن يبذلوا مجهوداً لتوفير مصادر أكثر للمعلومات ويطلبوا مزيداً من المجالات تمثل مختلف وجهات النظر لتوزيعها. ويستطيعوا أن ينتقوا صحفاً وكتباً مختلفة لكي تعطي مجالاً أوسع من الموضوعات لمدارستها ومناقشتها.

■ بعض الأسئلة التي يسألها الأطفال تتصل مباشرة بمشكلات في غاية الأهمية علي الصعيدين المحلي والدولي، ومثل هذه الموضوعات تتسم بالتعقيد الشديد، ويشعر كثير من الأطفال بالحيرة إزاءها. ويجدر بالآباء والمربين أن يُعدوا برامج جماعية يُقدّم فيها أفراد مختلفون وجهات نظر متباينة ممّا يجعل الموضوعات أكثر وضوحاً، وتتبع هذه البرامج مناقشات وفترات أسئلة حيث يتم تعويد الأطفال لإثارة التساؤلات التي نبعث وتبلورت لديهم. ويمكن أن تُصبح هذه الأسئلة موضوعاً لمزيد من الإيضاحات، وبذلك فإن الأطفال يشعرون بأن الآباء والمربين يحترمون حاجاتهم لفهم، وإذا تم هذا كلّه في جو من الهدوء والود، سوف يزداد شعور الأطفال بالأمان الداخلي.

■ عندما يختار الآباء والمربين الأفلام السينمائية، أو التسجيلات الصوتية، أو المقروءات، أو الخبرات المباشرة، فإنهم يميلون أحياناً لقصر اهتمامهم علي ما يشتمل علي إجابات جاهزة، ونحن بالطبع نريد أن نخلق مواقف تحث الأطفال علي التفكير في اهتمامات أخرى وبالتالي أسئلة أخرى. إن المواقف التي نختار فيها بين العديد من المواقف الجيدة أو الاختيار بين العديد من المواقف السيئة أفضل كثيراً لإثارة التفكير والتخطيط من المواقف النمطية، حيث يكون الاختيار الوحيد بين شينين أحدهما ممتاز، والآخر ردي. إن الحياة ليست

كذلك فلا يجب أن نعوّد الأطفال علي وجود جانبيين فقط لأي مشكلة أو موقف حيث أن الاستجابات لأي موقف لا يجب أن تحتل الصواب والخطأ فقط.

■ في المدرسة يستطيع المدير أن يرتب مع الصحف المحلية، أو الإذاعة أو التلفزيون تنظيم سلسلة من الندوات تناقش فيها موضوعات كل أسبوع علي مدار السنة الدراسية، وبعض هذه الندوات يمكن أن تكون ندوات مع الطلاب، وبعضها مع الآباء والمُعَلِّمين، ويمكن أن تضم هذه الندوات بعض الخبراء سواء من المدرسة أو من خارجها، ويمكن أن تُطبع ملخصات لهذه الندوات وتُستخدم كموضوعات للقراءة، أو يمكن للأطفال الذين حضروا تلك الندوات أن يُقدِّموا ملخصات شفوية. ويمكن تطبيق ذلك علي الندوات التي تُعقد في الإذاعة أو التلفزيون.

■ إن كون بعض الأسئلة أو الموضوعات تتسم بـ"الضخامة" ليس سبباً في استبعادها من اهتمامات الآباء والمربين، وبذلك يجب ألا يرتكبوا خطأ التفكير في استبعاد بعض الموضوعات عن مجالات أسئلة وتفكير الأطفال، بل يجب أن يُهينوا أطفالهم لمزيد من فهم الغرض الأساسي لأسئلتهم حتى يتم التخلُّص من كل الأسئلة التي تراودهم عن تلك الموضوعات، وإن يكلفوا بعض المجموعات من الأطفال بعمل ملخصات كنتيجة ملموسة لأي عمل يقومون به أو يقومون بمناقشته.

الفصل الثامن

إشباع حاجة الطفل إلى الأمان الاقتصادي



❶ ماذا تعني الحاجة إلي الأمان الاقتصادي بالنسبة للطفل؟

تُشير هذه الحاجة إلي مدى شعور الطفل بالوفاء باحتياجاته الأساسية، فالشهور المبكرة من حياة الطفل الأخذ في النمو توفر له الشعور بالأمان الاقتصادي عن طريق إمداده بالطعام والشراب، والكساء، والماوي الملائم. وفي معظم الأحيان نجد استقراراً في العلاقات داخل الأسرة طوال تلك الفترة من العُمر، ولعلّ السبب في ذلك يرجع إلي أن الطفل الصغير لا يستطيع إيصال ردود أفعاله، وليس لديه أية مقاييس للأمان الاقتصادي. والطفل يميل لتعلم أن بيئته الخاصّة (الأسرة) مهما كان شأنها أو مستواها هي بيئة يمكن الاعتماد عليها، ويثق في أنّها سوف تستمر في توفير الأمان الاقتصادي له، وإذا توافرت له هذه الثقة واقعياً في استمرار الإمداد باحتياجاته الأساسية في الحياة فإن هذا المقياس يصبح مقبولاً. ولكن هذا المقياس يتغيّر كثيراً تبعاً لاختلاف الأسر. وبقدر ما يشعر الطفل بأن نظام حياته والوفاء باحتياجاته الأساسية سوف يستمر فإنّه تتاح له فرصة أخرى لبداية جديدة قوية وسط مجموعة الأشياء التي تُطلق عليها "الأمان الداخلي". وبمرور الشهور والسنين يجب أن يستمر هذا الموقف نسبياً، أمّا إذا واجه تهديداً أو شكوكاً قوية، وقلقاً حول أمنه الاقتصادي فإن الشخصية تهتز وتضطرب. وإذا ما صادف احتياج الطفل للأمان الاقتصادي معوقات أو إحباطات فإننا نعود فننتوقع نتائج سيئة تنعكس علي شخصية الطفل النامي.

❷ كيف نكتشف حاجة الطفل إلي الأمان الاقتصادي؟

لا يُقاس الأمان الاقتصادي بالثراء الفاحش، أو ما يمتلكه الآباء من ممتلكات، بل في استقرار المركز المالي وضمن استقرار هذا المركز. وسنحاول في الفقرات التالية التعرف علي الأطفال الذين يُعانون من اضطراب أو قلق بسبب أن مركزهم الاقتصادي (بصرف النظر عمّا إذا كان سيئاً أو جيداً) غير مستقر وبالتالي غير آمن:

■ هؤلاء الأطفال يبدو المستقبل القريب بالنسبة لهم إمّا غير ثابت أو مُهدد، إنهم قلقون خوفاً من أن يتغيّر الموقف الحالي تغيّراً كبيراً. وفي بعض الأحيان قد يُعبّر هؤلاء الأطفال عن قلقهم بصوت عالٍ، فقد نسمعهم يقولون: "أنا خائف فقد يفقد أبي وظيفته!!"، أو قد يقول بشئ من الارتياب: "عندما أصبح عجوزاً هل سأكون فقيراً مثل جدي!!"

■ وعادةً نسمع هؤلاء الأطفال يعكسون قلق والديهم، كان يقول الطفل: "ماما قالت إنّه إذا مرض أبي فإنّها لا تعرف ما الذي تفعله؟"، أو: "قال أبي إنّنا لو أنجبنا أطفالاً آخرين فسيكون من الصعب أن نحصل علي احتياجاتنا كمّا كان في السابق". وقد نسمعهم يقولون أيضاً: "إنني في حاجة إلي الذهاب إلي طبيب الأسنان ولكن أمي قالت لي أنتظر قليلاً.. وربما لن أستطيع الذهاب إليه أبداً!!". وقد يقول الطفل إلي والدته مُعاتباً: "لقد عدني أبي مرّات عديدة أن يحضر لي ساعة اليد، ولكنه في كل مرّة يطلب مني التأجيل.. فهل سيستمر يا ماما الأمر علي هذه الحال!!؟".

■ وعادةً ما يقلق الأطفال نحو احتمال الانتقال من المسكن الذي يستقرون فيه، فقد نسمعهم يقولون: "إذا لم تتحسن أحوالنا الماليّة فلن نعتز علي مسكن جديد غير مسكننا هذا.. الأيل للسقوط"، أو قد نسمع أحدهم يقول والأسى يسيطر عليه: "سوف يضطر أخي الأكبر لتترك المدرسة والعمل في إحدى الورش لأن مرض أبي طال للغاية"، وقد يأتي الدور عليه لدفع

ثمن عدم الاستقرار الاقتصادي، فيشكو لأحد أصدقائه، وهو يقول والألم يعتصره: "سأضطر للعمل بعد الظهر بعد خروجي من المدرسة حتى أستطيع الإنفاق علي أسرتي بعدما أصبح أبي بلا عمل!!"

■ وكثيراً ما يُشير مثل هؤلاء الأطفال الذين يفتقرون إلي الأمان الاقتصادي إلي وظائف أبائهم الغير مستقرة، أو إلي الأجور المتدنية التي يحصل عليها أبائهم من أعمالهم.. أو غير ذلك من العوامل المادية التي يشعرون بأنّها قد تتعرّض للتهديد، إمّا حالياً أو في المستقبل، أي أن هؤلاء الأطفال يفتقرون إلي الثقة في المستقبل.

■ وأفعال هؤلاء الأطفال كثيراً ما تعكس أعراض عدم الأمان الاقتصادي، وهم يختلفون تماماً من حيث ردود أفعالهم وتصرفاتهم، فأحياناً نجد طفلاً يبدو منزعاً حول خلفية أسرته الاقتصادية، إنّه قد يُحاول - عادةً - أن يحول دون أن يعرف الناس أي شيء عن وضع أسرته الاقتصادي، وقد يرفض قبول أي مساعدات أو هدايا من أي جهة أياً كانت، ومثل هذا الطفل يكون علي درجة عالية من الحساسية. وعلي النقيض من هذا، الطفل الذي يتقبّل المساعدات والهبات عن طيب خاطر. وقد نجد بعض الأطفال ممّن يدافعون عن مركز أسرته الاقتصادي، وبالتالي مركزه الاقتصادي هو، وهناك أطفال علي نفس الشاكلة ولكنهم يبالغون في ذلك بأن يقوموا بالتفاخر والمباهاة بما تمتلكه الأسرة من أموال وممتلكات، وبالطبع بالكذب والافتراء. وهناك فئة من الأطفال تتولّد لديهم عُقدة النقص والإحساس بالدونية فيلجأون إلي أساليب التعويض اللأسوية بحيث يميلون إلي اقتناء العديد من الأشياء عديمة الفائدة من باب النقص، كأنه يقول للناس: "أنا غني!!"

■ وهناك من الأسر التي تنمي الحاجة إلي الأمان الاقتصادي تتحدّث كثيراً عن الأحوال الاقتصادية وتُشرك أطفالها في تلك الاهتمامات، فالأب يتحدّث عن نظام شركته الأخذ في نظام "الخصخصة" وما سينجم عنه من إجباره علي "المعاش المبكر"، وبالتالي سيكون الغد غير مضمون أو غير مأمون. فيشعر الطفل بحجم المأساة التي تنتظره وأسرته، فيبدأ في متابعة الأخبار الاقتصادية التي تتعلّق بمشكلات المجتمع الاقتصادية ممّا تصدمه في كثير من الأحوال، وربما يشعر بالاكئاب نحو عدم الاستقرار الاقتصادي الحالي والمستقبلي. وفي تطور آخر فقد يشعر بالمرارة تجاه موضوعات الأغنياء - الفقراء، وقد يشعر بأن المجتمع كلّ مسؤول عن سوء مصيره ومصير أسرته!!

■ وفي المدرسة نجد أن عدم الأمان الاقتصادي قد يزايد عندما يطلب المُعلّم تكليف كل تلميذ من تلاميذه بعمل وسيلة تعليمية، أو عندما يطلب منهم جمع التبرّعات، أو عندما يطلب مُعلّم التربية الرياضية تكليف كل تلميذ بضرورة شراء زي رياضي خاص لحصته، أو تكليفهم بشراء أدوات تلوين مناسبة لحصة التربية الفنية.. وغير ذلك.

وكذلك قد يحدث في المدرسة ما قد يحدث في البيت لأن بعض المُعلّمين قد يوحون بعدم الأمان الاقتصادي من خلال الطريقة التي يتحدّثون بها عن المستقبل الاقتصادي للمجتمع.

وهنا. نعود مرّة أخرى ونُشير إلي أن مشاعر عدم الأمان الاقتصادي تتولّد في نفوس الأطفال من كل المستويات الاجتماعية، فقد يتواجد في الفصل الدراسي الواحد أطفالاً من أسر تنتمي إلي الطبقات الفقيرة، ومن الطبقات الوسطي، ومن الطبقات العليا. وقد نجد أطفال الفنتين أو الطبقتين الأخيرتين كثيراً ما يتحدّث أبائهم عن النفقات، وارتفاع أسعار السلع

الجنوني، وارتفاع الضرائب، والتضخم، والأزمة الاقتصادية العالمية. وقد يتوقع هؤلاء الآباء الكثير من الأضرار الاقتصادية وبالتالي المزيد من التشاؤم نحو المستقبل. وهؤلاء الآباء لا يدركون أن بعض ما يقولونه له وقع شديد علي الاستقرار العاطفي لأطفالهم، وبذلك فإن الإحساس بعدم الأمان الاقتصادي يمكن أن يتواجد بين أطفال الأغنياء مثلما يتواجد لدي أطفال الفقراء.

٥٠ كيف نشبع حاجة الطفل إلي الأمان الاقتصادي؟

■ يجب أن يحذر المعلمون في الفصول الدراسية التي تضم أطفالاً من أسر متفاوتة كثيراً بالنسبة لإمكاناتها الاقتصادية من المطالب المادية التي تُعتبر سهلة التحقيق لتلاميذ الطبقة الغنية بينما تكون بالغة الصعوبة لتلاميذ الطبقة الفقيرة. ولذلك يجب علي المعلمين عندما يطلبون أدوات تتعلّق بالكتب، والكراسات، والأقلام.. إلخ، أن يكون شراؤها في مقدور جميع التلاميذ من المستويات الاقتصادية المختلفة.

■ يجب علي المربين والمعلمين في المدرسة أن يتعاونوا مع المسؤولين عن الخدمات الاجتماعية بحيث يستطيع أطفال الأسر الفقيرة من الحصول علي الخدمات التي هم في أمس الحاجة إليها، مع الوضع في الاعتبار أن تُقدّم هذه الخدمات بما لا يجرح شعور هؤلاء الأطفال. ويجدر بالمربين والأخصائيين الاجتماعيين القيام بالأبحاث الدقيقة عن مثل هذه الخدمات؛ لأنهم بذلك سوف يقدرون تقديراً واقعياً حجم هذه الخدمات، ونوعيتها.

■ بعض الأطفال من التلاميذ قد يواجهون مشكلات اقتصادية حلت بأسرهم، فيبدو لديهم إحساس قوي بفقدان الأمل فيما يخص بالمستقبل القريب أو البعيد، لذا يجب الحديث مع هؤلاء الأطفال وطمانتهم بخصوص المستقبل، كما يستوجب الأمر دراسة حالاتهم من جميع الوجوه، وتشجيعهم علي دراسة سير العظماء في الشرق والغرب الذين اجتازوا مثل هذه الأزمات بالعمل، والصبر، والتنازل عن بعض الاحتياجات لفترات مؤقتة.

■ يستطيع الآباء والمربون أن يساعدوا أطفالهم علي النظر بوضوح إلي الدور الذي تلعبه الأشياء المادية فيما نُسّميه بـ"الحياة الطيبة"، علي أن يفهموا بكل صراحة أن دور الأمان الاقتصادي ليس مُجرّد تجميع الأموال واكتناز الممتلكات، بل الوفاء باحتياجاتهم الأساسية، ومساعدة الغير ما أمكن ذلك.

■ يستطيع المربون والمعلمون بالتعاون مع هيئة المدرسة أن يقوموا بمساعدة التلميذ الفقراء بطرق شخصية، بحيث يتم الترتيب لحصولهم علي المال المناسب وخصوصاً في الأعياد الدينية، أو الحصول علي تذاكر مجانية لحضور مباريات رياضية، أو حفلات موسيقية، علي أن يتم ذلك بمنتهي السرية والتكتم.

■ هناك أطفال كثيرون يريدون بالفعل لو نتاح لهم الفرصة لكسب بعض المال، وأحياناً كثيرة لا يهتم الآباء والمربون بهذه الناحية الإيجابية في شخصية مثل هؤلاء الأطفال الاهتمام الكافي. ولكن يجب عليهم التوصل إلي معرفة احتياجات الأطفال المُلِحّة، وأن يقوموا بمبادرة البداية في مساعدتهم علي التخطيط للحصول علي دخل إضافي مهما كان صغيراً، كأن يشتركوا في مشروعات إنتاجية من خلال الأنشطة المدرسية

المختلفة، مثل: عمل الشربات والعصائر، والمربي، وبعض المنظفات، والمفروشات.. إلخ. المهم أن يُساهم الطفل بالعمل ليكسب بعض المال الذي يحتاجه.

■ يستطيع الآباء والمربون أن يُساعدوا أطفالهم في إدراك أن التعليم، واكتساب المهارات الخاصة، والمثابرة، كل هذه الأشياء تُساعد علي تحسين الأوضاع الاقتصادية. كما يستطيعون وهم يتحدّثون مع الأطفال أن يبنوا في نفوسهم الثقة والأمان الاقتصادي مهما كانت الظروف صعبة. وأن يتم إقناعهم أن كل جهد مبذول لا بد أن يكون له عائد بصرف النظر عن المجال الذي يبذل فيه الإنسان جهده، كما يتحتم علي الآباء والمربين في هذا الصدد أن ينقلوا إليهم أن العالم يحتاج إلينا، كما نحتاج نحن إليه، وأنه ليس صحيحاً أن هناك أعمال تدعو للاحترام وأخري علي النقيض من ذلك، فكل الأعمال مهمة، وليس صحيحاً أن نقول هذا الإنسان لا فائدة منه مادام يبذل كل جهده في التعلّم والتحصيل.

■ يجب أن يتحاشى المُعلّمون بالمدرسة من تدوين أسماء التلاميذ الذين تبرعوا لمشروع ما، أو الذين لم يتبرعوا، ويجب أن يتحاشوا أي إشارة إلي أن الفصل جميعه تبرع للمشروع (الفلاني) فيما عدا ثلاثة من تلاميذ الفصل؛ لأن ذلك فيه إشعار للطفل بتهديد الأمان الداخلي لديه، ويشعر بخطورة الموقف الاقتصادي الذي يُشعره بالنقص و الإحساس الدونية.

■ يجب أن يتحاشى الآباء والمربون عملية التعميم فيما يختص المستقبل الاقتصادي، وأن يتجنبوا عند الحديث مع الأطفال بأن يقولوا علي سبيل المثال: "الأوضاع تبدو شديدة السوء"، أو أن: "المستقبل لا يبدو مشرقاً". وأن يتحاشوا زيادة مخاوف قد تكون موجودة بالفعل ممّا يجعل أفكار الطفل المتشائمة تثبت بما لا يدع مجالاً للشك لديه وفي هذا خطورة شديدة علي أمانه الداخلي.

■ يستطيع الآباء والمربون أن يمتنعوا عن إعطاء الأطفال فكرة أن: "الفقراء سيظلون علي فقرهم"، وأن الوضع السيئ الراهن سوف يستمر طويلاً، وأنه لا أمل في أي تغيير، بل يجب أن تبقي وتظل لدي الأطفال فكرة أنه من خلال الجهود الفردية والجماعية يمكن علاج الأوضاع الاقتصادية لأي مجتمع، وأن يضربوا لهم أمثال حية من الشرق والغرب، فدولة "ماليزيا" استطاعت أن تكون من صفوة دول العالم بعد أن كانت من البلاد المتخلفة اقتصادياً، و"تركيا" أصبحت في مصاف الدول المنتعشة اقتصادياً، بعد أن كانت هي الأخرى ترزح تحت نير الفقر.